

فِيء الروح (١)

(زخات حبر.. وياسمين..)

فيء الروح.. زخات حبر.. وياسمين.. الجزء الأول

وصال تقه

خواطر أدبية

224 صفءة

14 ملزمة

20 x 14

الطبعة الأولى

2017 / 2320

ISBN : 978 - 977 - 278 - 605 - 3

اسم الكتاب:

التأليف:

موضوع الكتاب:

عدد الصفءات:

عدد الملازم:

مقاس الكتاب:

عدد الطبعا:

رقم الايداع:

الترقيم الدولي:



التوزيع والنشر

دار البشير
للثقافة والعلم

darelbasheer@hotmail.com

darelbasheeralla@gmail.com

ت: 01152806533 - 01012355714

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع ، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من :

دار البشير
للثقافة والعلم

1438 هـ

2017 م

فِيء الروح (١)

(زخات حبر.. وياسمين..)

وصال ثقة

دَارُ البَشِيرِ
لِلشَّافَةِ وَالْعُلُومِ

obeikandi.com

إهداء

إلى ترنيمة المساء، وعبق المطر، وفيء الروح..
إلى الراكضين..

إلى المصلوبين على مقاصل الحياة..

إلى كاسري الأوثان، وإلى متحيني الاقتحام..

إلى الصامتين، وإلى من طال حديثهم..
إلى الصادقين،

إلى الصابرين، واليائسين، وإلى معانقي زخّات النور..

إلى عابري الحياة المثقلة بالأوجاع..

إلى من نصحوني أن أجمع تدويناتي بين دفتي كتاب.

obeikandi.com

اقتحام

ها أنا ذي أحاول جمع شتات فكري المبعثر؛ لأكتب مقدمة تدوينات يزدان بها رصيدي في البوح.. فيتبعثر كلُّ الحرف، وينقطع سمط الكلمات، وأرى أسراب الفوضى تهجم على سيل أفكارى، فتتبرأ مني اليراعة، وتسقطني قراطيسي فأصبح ملكة من غير عرش، وحاكمة من غير محكوم.

تراودني فكرة أن أستهل نرف قلمي ورشاحة حبري بحديث منمّق عن الحكمة، أو تعريف مطوّل للبصيرة، وأن أطيل المكوث بين مقامات فوائد التأمل وتدوين الخواطر، فتخونني قواميس اللغة، وتحلق العبارات تبغي تحرراً من أقفاصها.. وأخشى - قبل ذا وذاك - أن يُظنَّ أنني حكيمة، وما أنا سوى رهينة خدوش الحياة.. ما زلت أحبو في شعابها المترعة بالخذلان، أنكب من ذات الخيبة، وألدغ من ججورها مرات ومرات.. أستوعب كلَّ مرة من الدرس جزءاً، وبعد كل شجة أضطر إلى فتح صفحة جديدة إلى حين خيبة جديدة من خيبات المجدولة على الأكدار.

تراني أصلح أن أكون معلمة في مدرسة الحياة؟

إن قلت: ذي عصارة تجربتي وزبدة تأملاتي؛ فقد يقال: ومن قال إن الحياة تمنحنا خط النهاية في التجارب؟! ومن قال إن للدروس نهايات!؟

وإن قلت: أشرك القارئ انفعالاتي وأحاسيسي ونظرتي لما حولي، فقد يمضي وقته بحثاً عني وراء السطور، يفند تارة ما أراه، ويصدم قولي بقولي ويلزمني بمقتضاه، وأنا ما اقتنعت يوماً بالثبوت؛ فمفارقات الحياة كم تلون نظرنا لتفاصيل الحياة.

فيا أيها القارئ النبيل، خذ كلامي، واسمع نصيحتي، ولا تبحث وراء حروفي عمّن أكون؛ رحمة بك وبـ..فما أنا سوى ذنب يمشي على الأرض.. ونزف حبر شكّله متاهات الحياة.. قد أحسن القول بلساني، والحال ربي به عليم.

إذاً.. بلا مقدمة.

وما نفعتنا وحدها إن كانت الأمور بخواتيمها؟

اكتب ما شئت هنا، ولوّن بياض الصفحة بما تحب.. واختر لنفسك المقدمات.

تخير بداية، وقبلها خاتمة..

ثمة نهايات هي الحاسمة.

أبواب الكتاب

1. تراتيل الفجر.
2. شرع نوافذك.. خلف الزجاج صبح.
3. مشاريعك.. وصناعة القرار.
4. كسروا أوثانهم.
5. لذة العطاء.
6. مجرد إنسان.
7. بنكهة الخذلان.
8. كقطع من الليل.
9. فلسفة الذنب.
10. سحائب الرجاء.. وشآبيب الرحمة.
11. لجلجة الصمت.
12. ترانيم قلم (مملكة الحرف).
13. قالت.. فقلت.
14. بشريات.. وشذى الأعطيات.

ترااتيل الفجر

- وفجرك الذي استلته من بين سدول الليل البهيم، عمّر جنباته ذكراً وشكراً وتسبيحاً، والتحمّ مع الكون في رحلة التسبيح الفجرية النورانية. أسمع زقزقة ذلك العصفور الموكّل بإيقاظ أصدقائه، وترنيمه الطيور بعده في انتشاء يسبحون بحمد مَنْ أحياهم بعد موتٍ، وجعل رزقهم في غدٍ ورّواح؟ أسمع نقيق ذلك الضفدع في الغدير، وقد حمل سكون الفجر تسبيحه؟ أسمعت أزيز النحلة، وهديل الحمامة فوق السطح تشجن؟ أسمعت شدى النسمة، وعويل الرياح، وزجرة الرعد، ولجلة السحاب، وانفجار الحجر، وطققة حبات المطر؟ كلّ ما يُسمع، وكل ما توحّد البارئ بسمعه وانفرد، قد استفاق يُسبح بحمد السبوح القدوس.. فاحجز لك مكاناً بين من سبّحوا، ومن هلّلوا، ومن شكروا لله وكبّروا.. وتزوّد به على عبور يومك؛ فإنّ لك في النهار الممتدّ تعباً وكدّاً.. وسبّحاً طويلاً.
- أيتها الخيوط المتسللة خلّسة لتوقظ أجفاني، أتمّي مشروعك النوراني، وأيقظي روحي، واحملها معك في رحلتك السرمدية لمعانقة النقاء!

• في أحداق الفجر تنبت الأمنيات.. تلك التي سقتها مدامع النجم.

• يا طلة الإصباح المتربع فوق أكاليل الندى.. يا نور الشمس المقتحم شقوق الشبايبك والأبواب ومنافذ قلوبنا.. يا تواشيح الفجر وترنيمة العصافير الشدية..

يا أيها الربيع، تدلّل؛ ثمة أناس ينتشون بِطَلَّتْكَ، ويشربون حتى الثمالة من كؤوس بسمتك.

• الصبح الذي لا يلهمك أن تبدع للكون لوحاتٍ أجمل مما أبدعت بالأمس، وجهٌ مصغرٌ لليل.. إن لم تدرك أنك في كل يوم جديد وليدٌ جديد، تشرق الشمس من بسمتك، ويتضوّع الكون من عبقك، وتهتزّ ثخوم الأرض من إصرارك وتحديك وإنجازاتك؛ فما استحققت معاني الإصباح.

• اغمس ريشتك في سحر الصباح، ولوّن يومك بالعبق، وبالحمد، والثناء على مَنْ جعل النهار ضياءً ومعاشاً.. سبجانه.. وأقامك بعد طول رقاد.

• وكأني من صباح أعلّقه خلف النوافذ؛ حتى أعلم نواياه؛ كي يبدأ اليوم عندي.. إن بالأمل، فلافتح له الأبواب.. وإن بغيره، فبقايا الليل في فنجان قهوتي يكفيني.

- صباحك أيتها الروح المهجورة خلف قضبان الأمنيات المتحللة
كجثة منسية فوق التراب.. صباحك أيتها الأمنيات المتجاوزة
بنزق الهروب.. أيتها المعطلة المؤجلة المنسية على الرصيف..
صباحك أيها العزم.. يا دفق الروح في عروق الأمنيات.
- ياخيوط الفجر النقية، احملهم على رموش العافية، وانثري
حولهم الصبح بسماتٍ وأعطيائٍ ومقاماتٍ نشوةٍ وهناء.
- يا للصباح!! كم يتقن ترتيب تلك الفوضى التي تخلفها
سرايل الليل.. كم يتقن مداعبة البتلات المتشوفة للنور،
ومسح دموع الزنايق الحزينة لحزن الشجر المتحिन هطول
زخات النسيم؛ كي يحجر بسمته.. يا للإشراق في عيون
الصباح.. كم يمسح غبش الإياس من جفوننا!!
- أيها الصمت الجاثم فوق أنفاس هذا الصباح تنحّ! ثمة
أناس يستمدون العبق من ثرثرة خيوط النور، وهي تقتحم
الجفون، تكمل عزف الليل لمطولات الدهشة.. فيشرق في
أرواحهم الصباح.
- الفجر الذي لا يلهمك وجهًا جديدًا للحقائق، وترتيبًا
لفوضى أعماقك، وتدشينًا لمسارات جديدة، ولقرارات
عتيقة؛ وجهٌ آخر لليل الحالك. الفجر بداية جديدة.. كذلك
فلتكن معه كل الأشياء حولك.

- عابس ذلك الفجر، الذي نحرمه تساييح الإشراق.. واليوم أجذب.
- أغاريد وشذى زهر البرتقال وسماء مبتسمة.. ليس بين زنبقتي وحكايا الفجر الجميلة سوى بسمه، وجناحين، وعطر نيسان الفواح.. وإصغاء لتراتيل الفراش.. ومناديل مطرزة بالأمل.
- يتنفس اليوم الجديد؛ فتتنفس معه أرواحنا المثقلة بالحلقة.. تتخفف من حمل الديجور المستوطن بين الحنايا يثقل منها المسير.
- كالح وجه الإصباح في غياب رواء الأرواح.. واليوم أجذب.. إن لم يكن لك منه دقائق تستقطعها تذكُرفيها ربك.. فاعلم أن الرآن قد بلغ مداه.
- هذي الخمائل والنسائم وجدائل الياسمين، والشمس المائلة بين السحاب، والغدير، والسنديانة، وعيون القادمين من رحلة الموت الصغير؛ كلُّها تتحنَّ بسمتك كي تعلن الصبح الجديد.
- عبق هذا الفجر يشطرني طيفين: طيف تبتلعه المرايا.. وطيف يستكين منتظرًا شجن كروان الصباح؛ كي يمتد النور في مقلتي.

• وللشمس المتربعة كبدَ السماء اليوم حكاية.. حكاية عُقدتها
التفاؤل، وحبكتها الرضا، وكلُّ شخصياتها، وكلُّ أماكنها،
وكلُّ أحداثها؛ تسليمٌ، واستبشار، وتشوُّفٌ للجميل..
هكذا أشرقي كلَّ يوم يا شمسي، واسقيني أنوارك
التفاؤلية، واحملي قلبي في رحلتك النورانية، ألقي عليه
قمصان البشارة؛ كي تنبعث فيه الحياة من جديد.

• ميلاد جديد لفجر جديد.. دعوا شبابيكم مواربة.. قد
يقحتمها الأمل.. واتركوا القادم الجميل يبعثر قصاصاتكم،
لم تعد صالحة للترتيب.. في الكراسي مزيدٌ وريقاتٍ، دعوها
تنثني بنفحة الصباح، وبكيل الندى وشذى الأمنيات.

• ونرنو لخيوط الفجر المتسللة من بين جدران الليل البهيم،
فنرى فيها جزءاً منّا.. ذلك الجزء الفارُّ من عتمة قلوبنا بحثاً
عن شعاع الحياة.. وننظر لشمس الضحى المتزلفة للشجر،
فنرى وهج الحياة في عيوننا تشع طموحاً وتعلقاً بالقادم
الجميل.. وننظر إلى الفياء، فنرى حقائبنا المملوءة بزاد
الغروب.. فننتشي للقاء بعد الفراق في جنان الكريم الجواد..
وتتوق أرواحنا لله، ولما عند الله، ولعفو العفو، ومنة الشكور،
واسع الجود ذي الخزائن..

أليس هذا الكون صورة مصغرة لنا؟!؟

• بلا قمر، بلا نجوم، كان مسائي.. وصبحي لم يسفر بعد..
يا أيتها الشمس التي أضاءت عتمة أيامي المنسكبة من بين
يدي.. ويا زخات المطر التي أحيت - يومًا - أرضي الموات،
المغادرة شبائكي هذا الصباح؛ انسكبي فوق زجاج نافذتي،
وفي شرياني، وفي عيني.. أيقظي روحي العطشى للأمل..
للفرح.. لعيش السعداء فوق الأرض.. ليس لي من صبح
في غيابك.

• ما الصبح عندي سوى ذلك الذي أشرقت فيه الشمس
ساطعة برّاقة، وغرّدت فيه العصفور بلحنه الشجي، فعانقت
روحي الصفاء، وانتشيت لذات اللحن أسبّح بحمد الخالق،
الوهاب، الكريم، المنان.. أما ذاك الذي تذرته السحب،
ويخفي فيه نور الشمس الذي يقتحم زوايا قلبي كي أستفيق،
ويقلع فيه عصفوري عن الشدو؛ فإنما هو مسخ صبح،
وشبه من أشباه تلك البدايات التي تسمّى يومًا جديدًا.. ما
يومي الجديد إلا ما تجددت فيه عندي معاني الحب والصفاء،
واليقين والرجاء.. وخفق فيه قلبي المرهف الصغير لمعانقة
الأمل.. وغيره إنما هو رتابة مُميتة، وتكرار ممل للصباحات
والمساءات، أطوي بها أيامي، أصل بها لنهاية الرحلة.
• ورودي تنتظر الفجر لتعبق.

- إنما جُعِلَ الصُّبْحُ لِنَسْفِ الْعَتَمَةِ.
- للصُّبْحِ حِكَايَةُ تَرْوِيهَا خِيُوطُ النُّورِ الْمَتَسَلِّلَةِ خَلْسَةً لِإِيقَازِ قُلُوبِكُمْ.
- لَنْ يَهْزِمَ الدَّجَى خِيُوطَ الْفَجْرِ الْمَتَسَلِّلَةِ، أَلَمْ تَرَّ أَنَّ اللَّيْلَ إِذَا فَارَقَهُ النَّهَارُ؛ صَارَ كَيْسَلُخٍ مَمْسُوخٍ؟
- ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾
- صَبْحٌ لَيْسَ كِبَاقِي الصُّبْحَاتِ.. ذَاكَ الَّذِي تَتَنَسَّمُ فِيهِ عَبَقَ أَصِيلٍ جَمِيلٍ قَادِمٍ بَعْدَ سَوِيَعَاتٍ.. وَتَتَنَبَّأُ فِيهِ بَلِيلٌ لِأَبَدٍ رَاحِلٍ وَإِنْ طَالَ، وَإِنَّمَا وَجُودُهُ لِيُسْلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ، وَلِيَعْلَمُنَا أَنَّ الْأَصْلَ ضِيَاءٌ، وَأَنَّ رَحْلَةَ الْعَتَمَةِ قَصِيرَةٌ مَهْمَا طَالَتْ. صَبْحٌ لَيْسَ كِبَاقِي الصُّبْحَاتِ.. ذَاكَ الَّذِي تَرْغَمُكَ فِيهِ خِيُوطُ النُّورِ الْمَتَسَلِّلَةِ إِلَى جَفُونِكَ الْمَوَارِبَةِ عَلَى الْإِبْتِسَامَةِ.. ابْتِسَامَةِ لِإِشْرَاقِهَا الصَّافِيَةِ النَّقِيَّةِ، وَابْتِسَامَةِ أَنْ عَادَتْ إِلَيْكَ الرُّوحُ بَعْدَ مَوْتِكَ الصَّغْرَى، وَابْتِسَامَةِ لِأَنَّ لَكَ رَبًّا كَرِيمًا يَرْزُقُكَ وَإِنْ أَذْنَبْتَ وَقَصَّرْتَ، وَيَجْعَلُ لَكَ مَرْوَجَ خَيْرٍ بَيْنَ الْأَشْوَاكِ، وَيَغْنِيكَ بِفَضْلِهِ عَمَّنْ سِوَاهِ.
- وَتَنْفَسُ صَبْحَ جَدِيدٍ.. مَا ضَرَنِي الْيَوْمُ إِنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ، أَوْ لَبَّدَتْ سَمَاءَهُ الْغَيُومُ.. هُوَ صَبْحُ جَدِيدٍ، شَتَّتْ أَمَّ أُبَيْتٍ، أَطْوَى بِهِ أَيَّامِي، وَيُوصِلُنِي لِسَاعَةِ الرِّحْلِ.

• هذا الصباح مُرّنة، قد ابتسمت لمراها شقوق الخمائل، فأينعت
البتلات قبل أن تُنَجَّب، وحيًا عبقها الجمان المعلق في جيد
السماء.

• الغيم في فصل الربيع وأدّ لا بتسامة الشمس.. ومعها ابتسامتي..
بعض الصباحات وسن.. امتداد لطيف الليل.. تأبى الشمس
فيها أن تشرق وضّاحة، فتختفي وراء غيم الربيع.. وحتى
المطر المحتشم يأبى الهطول.. ما بالك يا صباح؟ شمسٌ برّاقة،
أو مطرٍ مدرار.. أما (النصف نصف) فشبهُ صباح، وشبه نور.
• ميلاد فجر جديد.. ودمع السماء يغسل الروابي والشجر
والمدر والحجر.. وقلوب البشر. اغتسل بالفجر من ليلك
العتيق.. وبالمطر من سُحّ المجبولة على الكدر. وفرّغ كلّ
الأمنيات دعوات صادقات لمن وعد بالإجابة لحظة خشوع
قلبك في حضرة هيبة ورقة من جعله ربّه مدرارًا، ينبئنا برحمة
الرحيم ومنة ذي العطايا والمنة والكرم.

شرع نوافذك.. خلف الزجاج صبح..

مزنك اليوم أمطرت نسيانا
طوقينا لكي نهيم امتنانا
أمطرينا سحاب سلوفينا
من صليب الجلمود صرنا سنانا
وزّعي البسم من تفاصيل غيم
سرحيها لكي نفضّ العنانا
كفكفي الدمع ثوريه هباء
آه يا دمع ما ارتضيت سوانا
فجرك الغضّ أطلقه ضياء

فجرك الغض أعلن العصيانا

- أكبر الخسائر أن تفقد التناغم مع نفسك، وأكبر الهزائم أن يشكلك الأسمى كما يريد.. وأنت قادر على بعث الروح في أنفاسك المتشظية.

● انطلاق..

"تمدد الصبح بين الغيوم يبغي نورًا، فتبسّمت وريقات التوت، وحيّت خيطَ الشمس الذي داعب أجفانها، وقالت: صباحك ربيعي أيها النور المتسلل خلّسة إلى داري، أيقظ يرقّة القزّ التي هدّها قضمي بالأمس، فوراءها نسج طويل، وشرنقة تنتظر غزلها مُذّ قررت أن تهجر الدبيب، وأن تمدد جناحيها في الفضاء الرحب، وأن تداعب الأزهار وترشف رحيقها.. علّمها أن رحلة التحليق تبغي صبرًا، وأن الانطلاق الناجح يحتاج عزلة وتشرُّقًا.."

● أعشق في الربيع قدرته على التحدي والتجديد.. وعلى زرع الحياة في الدُّبُول.

● أكبر جريمة نرتكبها في حق أرواحنا؛ أن نقبل بالمتاح.. فقط لعدم تصورنا لوجود بديل!

● ومازلنا نبحث عن وجه الصباح هناك وراء المدى، ونشوق النور بمشائق الركض والبحث.. ووجه الصباح في إكليل الندى الذي يطوّق جيّد الياسمين المتشوّفة لبسمة السماء خلف زجاج نافذتك المغلقة كلّ صباح.. شرّع نوافذك.. دع وجه الصباح يشرق من بسمة الرضا المتلاثلة على وجهك.. ومن عقب الياسمين المنسية خلف الزجاج.

• نحن من نغلق على أنفسنا سجون أفكارنا، ونمنع عنا رحابة الفضاء.. حتى إذا ما فرطنا - يوماً - سلاسلنا؛ اكتشفنا أن الكون أوسع مما كانت تلتقطه لنا عيوننا من خلال عيدان القفص.

• يا أيتها السنابل الحبلى بالربيع.. لا تلومي المطر الذي أغرقك.
• الريشة التي حملتها كي أرسم بها وجه الربيع سقطت؛ فنبتت تحتها أفحوانة.. وعقد ياسمين.

• معتوهون، أولئك الذين يضيّقون عليهم رحابة الحياة حولهم، ويحاصرون أنفسهم في شرنقة قرار.. كيفيهم أن يقصوا شرائط الأسلاك الشائكة الملتفة حولهم، وأن يلملّموا شظايا أرواحهم المنتثرة في قلاع العبث.. وأن يقتحموا عوالم الصفاء والنقاء.

• حياة واحدة فقط.. ومازلنا نتلمس دروبها، ونتساءل.. هل حان وقت الاقتحام.

• ويا غيم الخريف، ويا طلة الشتاء المفزعة، لمن أقول بعد اليوم "شمس"؟ وأنا المزروعة في خيوط نورها.. لمن تحكي زنبقتي حكايا الصباح؟ لمن ستسكب عطرها؟ والشوق قد بعث رسائل الحنين، تُشجّي ليلها الحزين.. لمن تبث زنبقتي شوقها؟ يا نسيج المزن المتربص بالمطر، الجاثم فوق صدر

السماء، المائل بين أصيص نبتتي وحكايا الفجر الجميل.. يا
أيها الغيم.. وراءك - أردت أم أبيت - خيوطُ شمس.

قطعت أشواط الليل منذ أن قررت الشمس أن تنسحب في
هدوء تاركة عرشها للقمر، إلى أن حثتها خطوطها الناكسة
المتولية إلى أن تتقدم خطوتين إلى الأمام.. تشرد العتمة، وتنشر
عقبها على الوجود.. قطعت معها كل تلك الأشواط، وحرقت
المراحل، وشيّدت أبراجًا، وحطمت أسوارًا، وسقطت في
الحفر.. ثم خرجت منها - بعد ذلك - أكثر قوة وأكثر صلادة،
وأكثر إصرارًا على متابعة مشهد الإشراق.. حملت كل ندوبي
وكل ورودي وكل حقائي؛ كي أغفو سويعةً في حضنك أيها
الصباح.. فأنسى الليل والأشواط والأسوار والحفر لحظة نثار
العبير وميلاد فجر جديد.. لست أخشاك أيها الصباح.. فمن
قاوم بحثًا عن ومضة نور يهديها لمن حوله؛ لا بد محبًا للمقاومين
مثله.. الباحثين مثله عن محطة استراحة يستشفون فيها الراحة،
ويُقبرون فيها أسلحتهم وكدهم، وكل أوجاع السنين.

وجه الصباح يغريني بأن أفرد جناحي وأخلق هاربة مني..
كي أعود لأغرق في.. صباحكم قوةً في بحثٍ عن ذواتكم..
قريبةً هي.. تنتظر - فقط - من يعزم ويفرد الجناح..
أعلمكم.. كي أستفيد مني.

• ازرعني، يا مطر الربيع.. حبة تحت التراب أخفتها الأشجان،
تنتظر قطراً يخرج أكمامها.

• دعوا أجنحتكم دوماً بالقرب.. لا تعلمون متى تحتاجون فردها.

• ما نفعلك الهروب يا صديقتي، وما نفعلك أن تحجبي الشمس
بإغفاءة عزف الريح الذي ترقصين على إيقاعه، وأدُّ للآمال
وتعطيل لعقارب الزمن بالقرب من أسوار ما جعلت إلا
للتحطيم، أو على الأقل لأن تُتجاوز. أتعلمين ما الأمل
يا صديقتي؟ الأمل انهماك في الحياة.. لتعتنقي الأمل يا
صديقتي.. وإلا فانهمكي في الموت.

• أستنشق عطر الصباح.. أملأ منهما شراييني.. فنبت بين الجوانح
قرار.. أقلب صفحات دفاتري فيغيض العزم بين شقوق العبث
والفوضى.. بين قرارات منسية كانت يوماً تحتاج فقط توقيعاً،
فترأى عليها الذكرى، ولبثت سنين عمرها في سجن
المستحيل. هذا الصباح.. يغريني بترتيب الملفات المنتظرة.. رب
يسرّ وأعزّ وأفتح واجبّر، وأقدر لنا الخير حيث وجد.

• كل أحزانك تهبُّ فجأةً كريح عقيم.. وتتساءل: ما بال
الشجر السامق قد اجثت منه الجذور؟ وما بال الورد
معلق في المشانق؟ وكيف مات الجثمان على نحورهن؟ كل
هذا الغرق.. وأنت مازلت تلعن الضفاف والمرافئ!

- استرقُ بِسمةٍ ولو من بين شقوق الهم.. أغمض عينيك وابتسم.. أخرجها من الأعماق.. ستلاحظ أن رثيكَ قد غيرتا الهواء الذي تتنفسه.. بسمة كما الزفرة.. اجعل عينيك يستقبلانها.. ابتسم.. بسمة عميقة.. تليق بفاتح ينشد تحرير مدن الرماد من قبضة الكآبة المستديمة.. اسرقُ من دروب الحياة.. بسمة.
- لماذا نصرُّ على أن نعيش الحياة بكل العمق الذي فينا.. وإلا أن نعزف عنها عزوف زاهد مزيف، إذ لم يجد ما يملأ عينيه، اختار الانزواء؟
- ليس كل ما نتمناه نحققه، فلنعش كما الفراشات تنتقل بين الأمنيات، ونرشف من رحيق الأحلام، ونستعيضُ عمَّا لم نستطع إنجازَه بما نستطيعه.. لا مكان للفراغ في بساتين الأحلام.
- تريد أن تكون على كل حال بخير؟ كرر المحاولة.
- نبتة شطأت بأرض قحط، كلما همَّت أن تنقب بين الأشواك عن عطر زهرة برية تعيد لأنفاسها الأنفاس؛ أدمتها.. فقررت أن تجلس القطر في جوفها.. يغنيها عن انتظار حيا الغيم.. وأن تنبت شوگا تتحسس به هذا العالم، وتصد به نظرات المشوفين.. وأن تولد من جديد كلما سقط منها جزء.

- كلماتهم حفرت في أحشائي خندقاً، وأقامت في شرباني سرادقات عزاء.. مصلوبة أنا على مقصلة العلا.. وروحي التواق ما رضيت يوماً بالمتاح.. أفيدفن العبق، وما حنَّ يوماً إلا لشجيج السماء؟ أفُتسرق الرموش من جفون الورد، ويوّد البريق، وما رحل إلا في سبيل الضياء؟ أفنحن للأقفاص وذاك الجناح ما هذه يوماً أن يجوب خمائل الفضاء؟
- وما الحياة إن لم تكن لنعيشها بعمق في كل تفاصيلها؟ وما عيشنا إن لم تكن لكل لحظة آنية عندنا اتساع مساحة لحسن استقبال ما نحن فيه!؟
- قليل النور المتسلل من النوافذ لا يكفي.. النور اقتحام لا تستهويه الشقوق.. النور يحب الأبواب المشرعة.
- وحدك المسئول عن فشلك.. حينها ترضيه لنفسك، وتتركهم يفشلونك.
- إن كان كل مكسبك من متاهات الحياة بسمّة تسترقها من بين الشقوق، فحافظ على مكسبك رغم كل شيء.. قد لا يتسنى لك اللقاء به مرة أخرى إذا ما فرطت فيه.
- لا أصعب على النفس التواق والروح الطموحة؛ من شبابيك المستحيل.. تلك التي لا يمكن بحال أن تكون وهماً، أو مجرد استصعاب.. بل هي - فعلاً - عوائق متربصة بالاستطاعة،

تمتحن منا اليقين.. لكنها وإن كانت موقنة بالاستحالة في نفسها؛ فهي تعلم أن القدير القوي لا يعجزه مستحيل.

• ستبدع وستتألق، وستحقق كل آمالك بإذن الكريم، حينما ستقتنع بأن العطاء يلد العطاء، وبأن التفوق لا يجابي أحداً.. وبأن يقينك في الذي وعدَ بمدده لمن بكرمه تعلق؛ ثابت لا يتزعزع.

• العجز أحياناً.. اختيار.

• نحتاج مراتٍ عديدةً إلى اقتناص لحظة فرح.. إلى ترتيب أجواء نُحس فيها بالإنجاز، وبتحقيق بعضٍ مما سجدت قلوبنا لبارئها أن ييسر تحقيقها.. أن نقطع على الترقب سبل الانتظار.. وأن نفتحم.

• لا يأس، ولا كلل، ولا ملل.. كلما سقطت؛ فانهض، وأعد الكرة، وكلما أعيأك حلٌّ؛ فجرّب غيره.. وهل تسمى حياة تلك التي لا تستقي كُنْهها من الجرأة على المحاولة؟ إنما هي تكرار حمل للصباحات والمساءات، تجرنا لإنهاء الرحلة.

• بعض الفشل يساعدك على تحويل مسارك.. واستئناف المسير بروح عالية وطاقة جديدة.

• بعض الجولات في الحياة تصر على ألا تخسرها، ليس لقوة فيك وبسالة للدفاع عنها.. ولكن فقط؛ لأنها تستحق ذلك.

• أمط الأذى عن طريق أحلامي، فإماطة الأذى عن الطريق صدقة.

• هل جربت - يوماً - أن تنتظر الشمس في كبد الليل، وأن ترقب النجوم من تحت الغيوم، وأن تقطف وردًا من نرف الجراح؟

• ليس لقطار المعرفة بالحياة محطة وصول نقف عندها، نحن نمضي ونستمع باستكشاف خبايا الوجود، التي أعمانا الضباب - يوماً - عن رؤية جمالها المفعم بالمفارقات والمتناقضات.. وكطفل - بالكاد - يفتح على ما حوله، يفزعنا الشر والصراخ والعيول، ويكينا الألم، ويهجننا لون الورود ونقاء السماء، وننتشي لتغريدة الطير، ويأسرنا بريق الشمس فوق رؤوسنا.. فإذا ما توقفنا - يوماً - عن رحلتنا الجميلة التواق لكشف الأسرار، وفك الطلاس والشفيرات؛ توقّف نبضنا، وغاضت شراييننا بحثًا في أعماقنا عن بقايا إنسان.

• من ذاق طعم الحرية بعد طول حبس وعذاب، وتشوّفت نفسه التائقة إلى الخلاص؛ سيرى في كل الأسلاك سجونا، وفي كل الخيوط سياطًا، وفي كل الوجوه الجافية زبانية.. ومن كان حاله حبّ الرق والقهر والاستعباد؛ فلن يهنأ له بالٌ إلا في قبضة التتار، وقيد المغول، وتسلبت رمسيس العالي فوق الأرض في الواقع المغرق في لجج الظلم والطغيان على الحقيقة.

- بعض من تضعهم الأقدار في طريقك.. قد يكون ذلك لدعمك في وقت لا يجيد سندك بعد الله إلا هم، وبعضهم قد يكونون بالقرب فقط وسيلة لتستكشف نفسك، ولتمضي بها نحو النجاح.
- قد نضطر إلى تمزيق الأشرعة، وإحراق المراكب؛ إذا ما غابت عنا المرافئ.. أو إذا ما اضطررنا البحر إلى أضيق الطرق.. إما إبحار في خضم المجهول، أو موت بعواصف الريبة والحيرة والأوهام.
- النفوس التواقّة تكره الأداء المتواضع.
- وفي الحياة.. كم مراتٍ نجدنا مضطرين إلى أن نصرخ.. إما أن أكون.. أو لا أكون.
- نعم الله علينا لا تحصى.. ولو وقفنا عند نقطة الألم لقضينا عمرنا ننتحب، ولجمعنا علينا ألم الحيبة وألم عدم القدرة على تجاوزها.
- من سيعذر الشمس إن قررت أن تستسلم لسدول الليل الرهيب؟!
- أن تبحث أين تجد نفسك أكثر، وأين سيكون عطاؤك أكثر.. أن تنصت لصوت الفطرة داخلك، وللواعظ في قلب كل مؤمن.. نحتاج لسمع مرهف، ولقرب وشفافية مع أنفسنا.. وقبلها لتجريد النية وحسن التوكل.. يشق قمرة، وبإمالة غصن عن الطريق؛ خُلد أناس في الجنة.. ربنا الشكور يعطي على القليل الكثير.

- لا تحزن على وردة رسمتها ولوّنتها.. ولم تستطع أن تستشق عطرها.. ارسم وردًا، واستنشق شذاه من دروب الحياة.
- اصنع من أملك أجنحة، وعانق بها رحابة الفضاء.
- ما الجمال إلا ذاك الذي أخبرنا به أنفسنا.
- لكل عقدة حل، ولكل عائق تحديات، ولكل بيت موصد الأبواب؛ شبابيك مواربة تنتظر من يداهمها، ويقتحم الفضاء الرحب عبرها.. عزيمة، فخطوة، فقفزة عتيدة عالية.. وسهام الليل تقرب البعيد.. وسجدة قلب بين يدي الكريم؛ تجعل لكل الأسوار سلاليم لارتقاء المستحيل.. وتفويض الأمر للوكيل - سبحانه - يهدد الروح المضطربة، ويغرق في الأحلام المخملية من يعشق الأحلام.
- التمرد على القيد بداية حياة.. سمّيتها الالتقاء مع الذات بعد طول غياب.
- بئس الهم الذي لا يصنعك، ولا يجعلك تغترف من طاقات النور الكامنة في أعماقك، ومن بحار جود مولى كريم جواد.
- **وأخيرًا..** فهمت أن الحياة لا تنتظر أن نعيش تفاصيلها، ولكنها تُقتحم.. وعلمت أن الألم هو ذاك الذي ما جُعل لأن نتعثر به، ولا لأن يتعثر بنا.. ولا لأن نحاصر أنفسنا بسببه بين أسوار المستحيل؛ إنما جعل ليصنعنا، ولتشكلنا دروبه، وتحملنا من عتمة الماضي إلى إشراقة الفجر النديّ.

• وما ذنبي سوى أني رضعت الأنفة والإباء، وحلّقت أمانيتها في سماء الأحلام!.

• كلما قرأت أبيات أبي ذؤيب الهذلي المشهورة: أسير خلف ركاب النجب ذا عرج مؤملاً كشف ما لاقيت من عوج فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا فكم لرب الورى في ذاك من فرج وإن بقيت بظهر الأرض منقطعاً فما على عرج في ذاك من حرج أحسست بشيء ما داخلي يرفض التحجج بالعرج، بعدما عُرف الطريق، وتيسر الرفيق؛ فقلت لنفسي: هل كان يا نفس منجيك من السؤال؛ استمراؤك السير بعرجك خلف ركاب النجب، وقد علمت كيف تكشفين العرج، وكيف تقومين العوج وكيف تلحقين بالركب، وإن سبقوا؟ واخشيتاه.. كم عليك في ذلك من حرج.

• من ممّا اختار - يوماً - أن يتلحف بالأحزان، وأن يتنسم الآهات، ويعانق الوجع؟

من ممّا اختار - حباً وطواعية - أن يكون الصمت رفيقاً دربه، والوحدة كاتمة سرّه؟

من ممّا اختار - يوماً - أن تصير حروفه قواميسَ لانتظارِ الذي لا يأتي؟

من ممّا اختار - يوماً - أن يزرع الأشواق، ويحصد الأشواك؟

نحن لا نختار حياتنا ولا نهايتنا، ولا نتحكم في مجريات الأحداث..

لكن نملك قدرة الرفض والشجب والتغيير..

وما دام في المرء رمق؛ فلا يقعدن عن طلب السعادة.

● إذا استفرغت - عبثاً - جهدك في تنظيف طريقك، واستنزفت - هباءً - في إعادة تعبده؛ فلم يبقَ لك سوى اختيار واحد: تغيير المسار.

● أن تُستنزف من أجل ترميم ما يجب ترميمه، وتبذل قصارى جهدك في إعادة تعبيد الطريق.. أن تطرق كل الأبواب الممكنة وغير الممكنة.. أن تُنازل المستحيل كي تُرجع القطار المترنح إلى السكة، ثم تكتشف - في الأخير - بأن محاولاتك كلها قد باءت بالفشل، وبأن الوضع على ما هو عليه، وبأنك كنت تصبّ الماء في الرمال، وتنفخ في قربة محرومة.. حينها فقط؛ لن تندم - أبداً - على تحويل المسار، ولا على تغيير الرصيف والقطار. فقط.. تأكد بأنك - فعلاً - قد استفرغت الجهد.. وبأنه لم يعد لديك ما يمكن التضحية به كي تبقى مرتاحاً مطمئناً.

● ربّ شوك خير من ورد..

إذا رماك بحرُ الحياة إلى مفترق الطرق؛ لا تقف مكتوف الأيدي، توكل على الله واختر طريقاً.. لكن تحمّل تبعات اختيارك وقرارك، فبعض الطريق ورد، وبعضها شوك وصبار. ولا تبتسّس؛ فربّ شوك قوي به عودك وصنع

شخصك، وربّ صبار فَنَسَرَكَ، وجعلك تنضج قبل الأوان.
أكبر جريمة في حق أرواحنا أن نحاصرها في أسوار المستحيل.
لا خير في حزن لا يصنعنا، لا يمضي بنا قُدماً.. يتركنا رهائن
المستحيل.

الباب الموصد عمداً في وجوهنا؛ نعمة لمن عرف قدر النعمة..
يعلمنا أن نرحل عنه، وأن نطرق الباب الذي لا يوصد في
وجه حتى الكافر: باب الكريم الرحيم المنان.

وستبقى الشمس هي الشمس في أعماقنا، لا في نفسها هي..
فلتحببها أيها الغيم إن أردت.. لن نحذف من قاموسنا
كلمة ضياء فقط؛ لأننا صادفنا السحاب.

أن تُفسح لك أبواب الحياة، وتضيّق معانيها في صدرك.. أن ترى
الحبل فتخشاه.. تظنه ذات الثعبان الذي لدغك ذات غفلة.. أن
ترى الماء وتسمع خريره، وتنسم عبق الأزاهير المنتشرة حوله..
تفرّك عينيك الوسنى؛ فلا ترى ما حولك غير سراب أو هكذا
تريد أن تراه.. أن تغلق أذنيك عن سماع همسهم.. وعينيك عن
رؤية طيفهم، وتنزع نظارتك كي لا ترى.. أن تتكوّم حولك
كقُنْدُسٍ، يتهيا لسباته الشتوي داخل جحره وتكمل الرحلة
غالفاً كلّ المعابر، وكلّ المنافذ، وكلّ ما يذكر بك بهجة الحياة..
غادرة تلك الحياة.. حقاً غادرة.. لكن غدرك بنفسك؛ لا

يقل عن غدرها.. حينما تمنع عنها الماء والهواء، وتحرمها متعة الركض بعد السقوط، والبناء بعد الانهيار.. حينما تلقّنها أن خط الزمان يقف ها هنا حيث تلك الحفرة التي أسقطتك، وما أسقطتك هي، ولكنك بيدك حفرت خندقها.. حينما تستمرئ النكوص، وتستلذ بالضعف، ويريحك حمل الراية البيضاء.. غادر أنت بنفسك.. فلا تلم بعد هذا الحياة.

مشاريعك.. وصناعة القرار

- الطرق التي تؤدي إلى أحلامك الكبيرة، ازرعها وروِّدًا.. واسقها من طلِّ قلبك، وندى عيونك، ومن صيب روحك الشفيفة.
- نحتاج أن نعلم ما نريده حقًّا على وجه التحديد والدقة، وأن نتفانى للحصول وللمحافظة عليه. بعض الجولات في الحياة تستحق منّا أن نبذل مهرها من راحتنا وصفائنا، بل واستقرارنا.. لا لشيء، إلا لأنها فعلاً تستحق.
- الريح التي تتهيب الجدران، لا تعثر على النوافذ.
- موقف جديد.. ألم جديد.. فرح جديد.. فرصة للتأمل ولاستكشاف الذات.. ولتأسيس فلسفتك في الحياة.
- الأبواب المواربة قرار خديج.. وأكثر القرارات إيلاّمًا، أنصافها.
- الورقة التي تخشى الألوان.. لا يمكن أن تصبح لوحة رسم.
- أيها الواجم الحائر المتخبط في دهشتك، ابحث عن دورك الحقيقي في مركبة الحياة.. حيث أقامك الله؛ قم، واستقطع من

روحك كي تبدع فيما استرعاكه الله.. هي حياة واحدة وعمر واحد؛ فلا تبذرهما في الحيرة والدهشة والعبث.

• ما نفعك ريش ولا تحليق، وسماؤك تصب على جناحك اللعنات.. وتنفس ريشك تهبه نثارًا للرياح.

• كن الشمس.. لا تكن قنديلًا احتياطيًا لغياب الأنوار.. كن الشمس، أو أقفل معابر النور باعتيادية العتمة.

• مشروعك، رسالتك، حلمك الذي قررت أن تغرس فيه ما تبقى لك من عمر، لن يستحق مسَمَّى حلم إن لم يكن ليقنات من روحك ووقتك، ويتنفس من تفكيرك.. وتنعم بصحبته حتى في المنام.

• شمسك التي فَنِيَتْ؛ كي تجعل نورها يستوطن بين أحداقك؛ لا تجعلها تغيب بغمضة جفنٍ تواري عنك ذات النور.

• ترتيب الأحلام يستدعي - أحيانًا - تأخير بعضها، وأحيانًا يستدعي التخلي بالكلية عنها؛ لأننا موقنون أنها لا تفعل سوى تعطيل خطونا، وكَبُحَ مشاريعنا الكبرى.. تستمر الحياة في كل الأحوال، وتتجدد المشاريع، ونستعيض عن الأحلام بغيرها، ولا نقف مزروعين عند نقطة إخفاق، أو خيبة أمل.

• وسَّع دائرة أحلامك ومشاريعك، ونوَّعها واستكثر.. إن لم تستطع تحقيق الكثير؛ فتلَبَّغ بالقليل منها.. الحياة تحب

المشمرين.. أولئك الذين ينفخون الروح في الأمنيات؛ كلما شارفت على الاحتضار.

- الصبح الذي لا يعلمك الجرأة على المحاولة؛ تبرأ منه.
- أغلب من علقوا في المعابر، كانوا ينقبون الحيطان، ولم يفتنوا لوجود منفذ إغاثة غير بعيد عنهم.
- ليس الإقدام ما يتعبني، ولا التخطيط، ولا القدرة على الوصول.. لكن الذي يرعبني؛ أن أكون مضطرة إلى نقض كل النسج أنكاثاً بعد أن أحسنت الحبك، وأفنيت نفسي في اختيار الألوان.
- ولأنك يا صديقتي مهووسة بالمعالي، وسقف توقعاتك سامق؛ فتحلي بالانتظار، وتحززي أن يلفظك الصبر ذات تعب؛ فتقبلي بالمتاح.. فيختر عليك السقف.
- الباب الذي يغلق في وجهك، يعلمك أن تحفر بيديك المنافذ.
- نجاحك ليس رهيناً بما يراه الناس نجاحاً.. فبعض من منحوا أنفسهم أحقية تقييم من حولهم، قد تحركهم غيرتهم وعدم قدرتهم على اقتفاء نهجك، فيختزلون فشلهم وغيرتهم في حكم مجاني مسموم؛ علّهم ينجحون - على الأقل في إثباتك عن مسارك أو تشكيكك في نفسك وفي قدراتك.. نجاحك أن تجعل لحياتك معنى، وأن تبني رسالة تحب أن تلقى بها المولى،

وأن تبصم بُرقيك في حياة من حولك.. وإخفاقك الحقيقي أن تبقى رهينَ أحكامهم، أو أسير فشلك في تغيير حياتك وعجزك عن تغيير مساراتك وتوجهاتك؛ كلما اقتضى الحال فعل ذلك.

- في تجارب الحياة، لا أحب الحديث عن الضرائب المدفوعة عن كل إخفاق، بل لا أسميه فشلاً إلا بقدر ما يسلبنا من قدرة على المقاومة وعلى تحدي مطبات الحياة، أختار عنها عبارة "مهر" ندفعه لتتوج هامتنا بالحكمة، ولكي تقدح في حياتنا فلسفتنا في الحياة.

- أصعب القرارات، تلك التي ينكتها فجرٌ ليل طويل ابتلع النوم من عينيك تدون ذات القرار.. حتى إذا نكثته، واغتسلت منه بأكاليل الندى المحدقة بالصباح؛ اضطُرت لأن تعيد النسيج، ولأن تلملم شظايا الحلم المكسور، تصنع منه بروازاً تحنط فيه ذاك القرار.

- آمنياتنا الترابية.. لا نأمن أن تذرّوها الرياح.. فلنجعلها كوثريّة فردوسية نورانية.. فالرياح لا تغالب النور.

- وتلك الرغبة المحمومة في تلوين ما تبقى لنا من حياة بألوان القوس، ومغادرة القتامة التي كبَلتنا، وتدارك ما فقدناه في رحلة الموت البطيء، تشتعل أحياناً وتخبو أخرى، لكننا لا نعلم متى تكسر الجوانح، وتفر هاربةً من سجن التسويف

والتأخير؛ فتفرض علينا - بذلك - الحسم في أخذ القرار.
نحسن دهرًا مرادتها وخداعها، وتصيرها إلى حين، لكنها
إذا ما فطنت بلعبتنا لم تُثْمَلنا.. تحطم الحواجز، وتكسر
السلاسل، وتسرق من مُقَلِّنا النوم، ومن تفكيرنا ترتيب
الأفكار.. فلنسع لتنفذ قرارنا اختيارًا قبل أن يتلبس الاختيار
بالاضطرار.

• يكفيك أن تستيقظ على بواذر تحقيق بعض من مشاريعك،
التي كنت دومًا تحلم أن تجعلها رسالة لك، تحب أن تلقى الله
بها؛ كي تتدفق في شريانك الحياة.. فاللهم لك الحمد على ما
يسرت، ولك الحمد على ما فتحت، ولك المنة والثناء الحسن
على ما منحت وأعطيت.

• لا تنتظر أن تدق الفرص أبوابك وأنت كلما صادفتك
أغمضت عينيك عنها وتجاوزتها إلى غيرها.. لن تأتي، لا لأنها
لم تأت؛ ولكن لأنك لا تريد أن تراها.

• تريد قياسًا لإنسانيتك؟ انظر ماذا قدمت لمن حولك، وأثرك
على من ولّك الله شأنهم.. بل انظر ما قدمت لنفسك بحق؛
كي تسبح في إنسانيتك.. كي تتحرر من قيود بشريتك، وتحلق
في سماوات النور والجمال.. قف.. تمهل.. أعد حساباتك..
قد ضاع من عمرك الكثير.. فاستغل وقتك في الاستصلاح،

بدلاً من الانشغال بجرد الخسائر الماضية. هي حياة واحدة وعمر واحد، لربما قد ضاع منه ما كنت تطمح أن تعمّر به دنياك.. فلتسأل الله أن يستعملك فيما تحرر به إنسانيتك، وتعمّر أخراك.

- من الخطأ أن نقبل بالمتاح.. فقط لعدم تصورنا لوجود بديل.
- رسالتك إن لم تقئت من روحك؛ فلا تستحق مُسمّاه.
- قرر من أنت.. كي تسهل على من حولك أن يعاملوك.
- إذا ما تحررت يوماً، فتأكد أن كل شيء فيك قد اعتنق الحرية.. حتى ماضيك العالق في جدران الذاكرة.
- نحن لا نختار أقدارنا تلك التي لا يد لنا فيها، ولا يمكن بحال أن تكون.. لكن لا عذرَ لنا فيما يمكن تغييره وتحسينه، وفيما يمكننا الاستماتة والكفاح لأجل تحقيقه.. نسأل الكريم - سبحانه - جوده وكرمه، وعونه وسداده.
- تريد أن تشغل نفسك عنك، وعمّا أنت فيه، وتستنفذها من براثن الهم والكرب، والوجع العتيق. انهمك في كل شيء جميل رقيق، عساك تستخرج الجمال الذي فيك.. فالألم يشكلنا في أبشع الصور، ويسرق منّا عبق الأنفاس وأكاليل الندى التي تطوّق الأرواح.. وخير ما تشغل به القرآن.. سترى - حينها - نفسك تحلّق بالقرب منك.. ترتب بركته شعث ما تشابك

فيك.. وتسقي بتلاتِ روحك الغافية تشدّب منها الجذور..
وتعيد لصدرك ترنيمة الحياة.

● بعض ما تلقيه الحياة في طريقك، تعامل معه بمنطق التجار،
منطق الربح والخسارة.. واترك - على الدوام - خطةً بديلة
احتياطية؛ كي لا يضيع كل رأس مالك في صفقة، لا نفطن
عادةً إلى أنها خاسرة إلا بعد أن نبرمها.

● بعض قراراتنا الصعبة لا تحتاج منّا لاتخاذها سوى الابتعاد
قليلاً عن معمعة الأحداث؛ كي نمعن النظر من خارج
السياق، فإذا ما كنت تستثقله بالأمس؛ صار يسيراً.. وإذا
بالبدائل التي كنت تعمي عنها عينيك، وتستبعد أن تستطيع
التعايش معها، إذا بها ما يصلح لك، ويصلح الكون حولك..
وسجدة قلبك بين يدي العليم الخبير القدير تستخيره في
أمرك، وتسأله الولاية والكلاء؛ كفيلة بأن تهندم حياتك، وأن
ترتب فيك ما شعثَ بتشابك وتسارع الأحداث حولك.

● ونحتمي بالأحلام من ضجّة أرواحنا.. ونحتمي بالهروب
من ضجّة الأحلام.

● أكبر خطة لمواجهة واقعنا، أن نضع أنفسنا حيث يجب
أن تكون، فلا نعطيها أكثر من قدرها، ولا نبخسها حد
ازدرائها.

- هل نحن مضطرون على الدوام أن نعيد ترتيب أوراقنا؛ كي نستطيع إكمال الرحلة؟ لم لا نجرب بعثرتها، والعيش في الفوضى؟ قليلٌ نزقٍ من حين لحين لا يضر.
- من لم يقتنع بأن الزمن كفيل بأن يكون الحكم؛ فليمض في حياته، وليترك نجاحاته تقنع من راموا نفسه أن القدير الحكيم إن أراد صنعك، وبث الروح فيك من جديد؛ فلا شيء يمنع جوده وعطاءه، وبأنه يكفي أن تحمل فانوسك في يدك تضيء به لمن حولك؛ كي يغرقك المولى في الأنوار.
- أحياناً كثيرة، لا نحتاج إلى مؤتمرات، ولا إلى موائد مستديرة كي نتخذ قراراتنا، مواقف بسيطة تجعلنا نقلع عن ترنحنا، وعن اختلاق التبريرات، فنقتنع أن القرار الواقعي المناسب؛ ما فرضته بساطة الموقف.
- يكفيك أن تستيقظ على بواذر تحقيق بعضٍ من مشاريعك التي كنت دوماً تحلم أن تجعلها رسالة لك، تحب أن تلقى الله بها؛ كي تتدفق في شريانك الحياة.
- بعض الجولات في الحياة نصّر على أن نربحها، ربما ليس لقوة وبسالة فينا؛ ولكن لأنها - فعلاً - تستحق.
- نساءل - مراراً - عن السعادة، ونطيل الوقوف على أطلالها، نسقيها المدامع.. نشكو - مراراً - من أنها قد أخطأت

طريقنا، وننسى أننا في الغالب من نخطئ طريقها حينما نعجز
عن التربص بها.. وحينما لا نقرر أن نكون سعداء..
السعادة قرار..
السعادة تخطيط.

• أضواءك التي كانت بالأمس القريب تلهب عيون المارة،
تسرق منها الدهشة؛ إذا ما يوماً بهتت، فحطم كل الفوانيس
وكل الشموع، وابحث عن ومضٍ داخلك، واقدحه، فمنهُ
يوماً كانت ذات الأضواء.

• فكرة سلبية واحدة كفيلة بأن تزجَّ بك في سجن نفسك.. أو
أن تقسمك شطرين: شطر يسجنك وتظن أنك له السجن،
وشطر يتفنن في نسفك.

• مرات كثيرة لا نحتاج إلا إلى الانفصال عنا، وعن الأحداث
حولنا مدة؛ كي نستطيع تقييم أنفسنا، وأوضاعنا بكل شفافية
وموضوعية، وتعديل رؤانا. ومن ثم، تصحيح مساراتنا.. ليس
عيباً أن نخطئ في تقدير المآلات، ولا نهاية العالم ألا نحسن في
فترة معينة التصرف أو القرار؛ لكن يكفيننا صدقُ اللجوء إلى
المولى المطلع على الخبايا وعلى النوايا، أن يقل العثرة، وأن يقبل
الأوبة، وأن يعيننا على شد الرحال إلى مرضاته.. ويكفيننا دعاءً
صادق أن يهيئ لنا أسباب السعادة؛ فيقفز الفؤاد طرباً ودهشة

من سرعة الإجابة، ومن تيسير الأمور وتدبير الأقدار.. قد تطول المدة وقد تقصر، حسب قوة الإرادة والجلد في طلب التغيير والترقي، وتحقيق الطموح ونشدان السعادة، لكن المهم أن ننتفض.. مادام في العروق دمٌ، وفي النفس رمقٌ، وفي الروح همّةٌ وعدمٌ استكانة، وقبول بالمتاح، فلا نقعدن عن طلب السعادة، وعن طرق أبواب المولى، وترقب دخول الفرح والفرج يقينًا، ربما من نوافذ لم نتوقع أن تتسرب منها أشعة النور.

● تعاهدوا أحلامكم، ونظّفوها من حين لآخر؛ فإنها تأسن من طول المكث.

● يا لهذا الإصرار، كيف يسمح للخوف أن يصير رفيقه!! أليس من المحزن والمؤسف معًا أن ترى رجفة خوفٍ في عيني مقاتلٍ أبيّ؟

● أولئك الراكضون في دروب الحياة، المعتادون على أن يُجنّوا رؤوسهم دون تطلع لنجم السماء.. المحبون للفوضى، بل إنهم ليمضون حياتهم غير ملتفتين لتبعثر الأشياء حولهم، أو لأنهم.. وأنها في حاجة للترتيب.. وحدهم من يعيشون في هناء.. أما أولئك الذين يحبون أن يخلّبوا النجم، وأن يتعطروا من مسك الأمنيات ورحيق الأحلام، وأن يهزموا الفوضى، ويعانقوا النظام؛ فأنتى لأرواحهم أن تستكين؟!

• بعض القرارات، تمضي دهرًا تخطط لها وأنت بين مدٍّ وجزر.. ما ينسجه الليل ينقضه النهار، وأنت في ورطة حقيقية من نكتِ الليل حبك النهار الجديد.. تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، في أعراض شبيهة بالجنون أو بالشيزوفرينيا.. وفي لحظة حوار شفيف، تفتح عينك على مؤشر، وعلى سببٍ وجيه كي تختار هذه المرة.. فطرتك ومبادئك قد تحكمت، والقلب المكلوم قد ساعدها، وأسباب خوفك القديمة في لحظة صارت عزمًا.. وإنك لتحس براحةٍ وسكينة واطمئنان تترجمها نومة عميقة.. لطفٌ وفضلٌ من اللطيف الرحيم سبحانه.

• احرص على ما ينفعك.. نظّف باحة أحلامك، وانفض عنها الأوهام وما لا يمكن بحالٍ أن يغالب المستحيل.. انظر للمتاح حولك، واختَر طريقًا آمنًا تحقق فيه ولو قليلَ آمنيات.. لا بد أن تجهض ما تعلقت به نفسك، وأنت موقن بأن شيمته التحليق، وبأنك لا نصيب لك في أن يحطّ يومًا بالقرب منك.. أجهّضه، وإن أجهضت معه الأنفاس، الحياة كفيلة بأن تبعث فيك أنفاسًا جديدة.. فقط، لا تغلق عليك بابًا تعلم أنه لن يفتح.

• أهون ألف مرة أن أبقى هدفًا مأمولًا، على أن أكون خيارًا مفتوحًا، وأقبل بذلك فقط؛ لأن ذلك هو متاح.

• زِنْهَا بِمِيزَانِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَا يَغْضِبُ اللَّهَ وَمَا يَرْضِيهِ، وَمَا فَقَدْتَهُ وَمَا سَتَكْسِبُهُ، وَمَا سَتَضِيْعُهُ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَمَا سَتَبْقَى حَرِيصًا عَلَى أَدَائِهِ؛ سَتَرْتَدُّ الْأَوْجَاعُ عَلَى قَلْبِكَ - بِإِذْنِ رَبِّكَ - بَرْدًا وَسَلَامًا.. شَغَبَ عَلَى الْإِحْسَاسِ بِعَقْلِكَ، وَبَشَرَ بِكَ.. فَذَلِكَ الْبَلْسَمُ لِلْجَرَّاحِ.

• قَدْ نَخَرَمُ السَّفِينَةَ وَنَعِيْبَهَا.. مِنْ أَجْلِ هَدَفِ أَسْمَى، وَأَهْمُ..
• الْحَيَاةُ سِلْسَلَةُ اخْتِيَارَاتٍ لَا تَنْتَهِي.. فَلْنَخْتَرْ الْأَسْمَى وَالْأَهْمُ.
• وَكَلِمًا تَكْلُمُوا، وَكَلِمًا تَحْرُكُوا، وَتَمْلُمُوا، وَكَلِمًا نَطْقُوا، أَوْ صَمْتُوا، أَوْ انْتَفَضُوا؛ زِدْتَ ثَبَاتًا عَلَى مَوَاقِفِكَ.. بَعْضُ الْخِيَاثِ - وَإِنْ كَانَتْ خِيَاثٌ - إِلَّا أَنَّهَا تَزِيدُكَ اطمئننا وَيَقِينًا فِي سَلَامَةِ قَرَارِكَ.

• وَإِنِّي مَازَلْتُ بِنَفْسِي أَرْوِدُهَا عَلَى الْاِقْتِحَامِ، وَأَعْرِضُهَا لِلْجَلَدِ فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ.. وَإِنِّي مَازَلْتُ أَجْدِي أَقْفُ فِي بَرْزَخِ عَاجِزَةٍ حَاطَّةٍ ضَعِيفَةٍ أَمَامَ قَرَارِ بَعِينِهِ.. قَدْ سَلَبَ النَّوْمُ مِنْ مَقْلَتِي، وَحَرَمَنِي الرَّاحَةَ وَالسَّكِينَةَ، وَأَوْقَفَ فِي شَرِيَانِي الْحَيَاةِ.. فَلَا أَنَا بِمَتَّعْمَةٍ بِاسْتِمْرَارِ مُمَارَسَةِ الْعَمَى.. وَمَا أَنَا بِمُفْتَخِرَةٍ بِقُدْرَتِي عَلَى تَحْدِي إِعَاقَتِي وَفُوزِي بِنُكُوصٍ وَتَوَلُّ أَمَامَ زَحْفِ الْحَوَاجِزِ، وَنَمُو الْجُدَرِ الْمُتَنَاطِرَةِ.. كَبَقْلٍ أَوْ كَفَطْرِ بَرِي.. وَإِنِّي مَازَلْتُ بِنَفْسِي أَحْرَضُهَا وَأَهْيَيْهَا وَأَجْلِدُهَا عَلَى خَنُوعٍ.. قَدْ فَرَضْتَهُ صَوْلَةُ الْقَرَارِ، حَتَّى

تراءت لي رؤوس بدأت تَبْنَع، وإنَّ قطافها لقريب.. صباحكم
تحدُّ لإعاقات تحجزكم عن الانطلاق في القرار.

• أحياناً.. وأنت في رحلتك نحو النجاح، تجد نفسك أمام
خيارين: سرعة الإنجاز والاكتفاء بالمتاح من أجل تحقيق
الرغبة، أو الصبر والتؤدة وانتظار اختتام الأفكار، وإعادة
ترتيب الأوراق؛ من أجل بلوغ الهدف الأسمى.. وبين تحقيق
الرغبة وبلوغ الهدف كما بين سدَّ الرَّمق والتلذذ باللقمة.

• رغباتنا الملحة بقدر ما هي محركٌ دفعٌ للإنجاز، بقدر ما يمكن
أن تصبح عائقاً لنا دون التفوق.

• وحتى أولئك الذين جُعلوا حَجَرَ عَثَرَةٍ في حياتنا كي ننجح،
يكفيننا أننا وضعنا - بفضل الله - أرجلنا بسببهم على السكة
التي نطمع من الله أن تكون صحيحة، فلنضع راية التحدي
المرفوعة عليهم ولنرفعها على أنفسنا.. نستحق أن نتقدم
ونتحسن وننجح لأجلنا.. ولأجلنا فقط.

• نظرة الناس إليك وكلامهم عنك، قد لا تعدو أن تكون نظرة
وكلاماً، فانظر إلى حديثك لنفسك عن نفسك، فذلك ما
يصنعك أو يهدمك.

• تمضي دهرًا تدسَّن فلسفتك في الحياة.. تؤسس وتنمق،
وتحاول أن تبدع، وأن تأتي بما لم يأت به من قبلك.. تظن

نفسك قد أتقنت.. ثم في لحظة، تجد نفسك مضطراً لتعديل نظارتك، ولنسف كل البناء.. ولاعتناق فلسفة جديدة قد تكون منها الحياة.

• وإنك لتؤدي ثمن اختياراتك الخاطئة لحظة عدم تقديرٍ دقيقٍ للأشياء، عمرًا تراه يتسرّب من بين يديك.. وما أنت بقادر على وقف سيل الأيام المتدفقة في اندفاع.. ولولا الإيثار بالقضاء والقدر؛ لأهدرت ما تبقى منه كمدًا وحرزًا على أنك أقدمت يومًا، أو على أنك أحجمت.

• كم هو محزن ألا تعلم ما تريده من الحياة.. أن تعيش مجرورًا بالليالي تسلمك للأيام، لا رسالة لك تؤديها، ولا طموح يحدو بك كي تكون أفضل، ولا أحلام ولا آمال، ولا وجود لك على الحقيقة في مسرح الحياة.. لا يذكرك بأنك هنا سوى أكل وشرب وعبث.. بل قد لا تذكر - أصلاً - وجودك؛ مادمت لم تعطِ للحياة قيمة دروبها.. والأكثر إحزانًا أن تكون ذا إرادة وطموح وروح راقية تواقة للأعجاب؛ فتعيش عمرك مكبلاً بالاختيارات العنيدة.. تفني زهرة شبابك بين الأسوار، وتمضي ما تبقى لك من أيام تتأرجح بين القرارات.. تفتح عينيك كل مرة على تلك الاختيارات المتلبسة بالاضطرار.. ترسم أحلامك، وتخطط لتحقيق آمالك.. حتى إذا ما رأيت

برعْمَهَا والَطَّلَعَ على وشك الإزهار؛ ردمته لا لأنك تريد ردمه، ولكن لأنك لا تملك - وحدك - حرية القرار.

● تنتظر حلمك دهرا فإذا ما أتاك أتى مبتور الجناح.. فإما أن تحمله على جناحيك وتطير به، وإما أن يقعدك بالقرب منه.

● أحلامك.. تعيش دهرا ثمني نفسك بها.. حتى إذا ما اقتنعت ألا وجود لها وبأنها مجرد أوهام، ورضيت بالواقع بكل ضراوته، ودأبتَ على ذلك يائسا منها؛ لمع - فجأة - على حين غفلة منك وميضُها، كما المنارة للمركب التائه في خضم بحر هائج.. تمضي في بريقها ثمني نفسك بالعبور وبالوصول وبالأمن هناك خلف هول الأمواج.. فجأة، تنوء المنارة.. ووميضها الذي كان يهدي سبيلك في لحظة؛ قد اختفى.. تنظر خلفك إلى اليم الغارق في الظلام، وأمامك إلى بعد الشقة واختفاء معالم الوصول.. مركبك يترنح.. والعاصفة الهوجاء تبدد كل أمانيك في الراحة والأمان.. تظل عالقا بين عودة وبين إقدام.. ماثلا بين برائن الشك والحيرة.. مصلوبا على مشانق الاختيار.. أترجع؟ وقد توسط مركبك هذا اليم، والوصول قبيل اختفاء الوميض كان وشيكا! أتمضي؟ ومعالم الوصول قد اختفت وبريق منارتك يعاندك!

لك الله أيها التائه الشارد العالق في شباك قرار..

اللهم اختر لنا؛ فإننا لا نحسن الاختيار، ورَضْنَا بقضائك.

- إذا اضطروك للتخلي عن طموحاتك ومشاريعك لأجلهم، فليخشوا أن تتخلي عنهم ذات ثورة، وبحث عن الذات؛ من أجل طموحاتك ومشاريعك التي كانوا سبباً في تعطيلها.
- التبريرات المتواصلة لأخطائنا حيلةٌ دفاعيةٌ نحتمي بها أنفسنا - مؤقَّتاً - من الألم والأسى وخيبة الأمل.. ولو تعاملنا مع إخفاقاتنا بمزيد حكمة؛ لما وقفنا عند نقطة الألم، ولجعلنا من فشلنا فرصة للنجاح.. لا عيب أن نخطئ، ولا إشكال أن نؤنب أنفسنا دون جلد عنيف، فالاعتراف بالخطأ دافعٌ حثيثٌ لإصلاحه، ومناسبةٌ لتفاديه فيما يُستقبل من الأيام، فلا نجعل الاعتراف مبلَغَ طموحنا لنقنع أنفسنا أننا شفافون صادقون مع أنفسنا، ولا نعلق أخطاءنا المتكررة على شهادات التبرير.
- حالتنا مع بعض المشاريع والأحلام حالٌ أمّ الأيتام، وقدرها المشهور، قد ملأته حجباً؛ تُصبرُ أبناءها على عضه الجوع، حتى إذا ما طال انتظارهم؛ ناموا.. نراوغها، ونهاودها، ونستكثر؛ فتعلم منّا المجارة، وتتنقن أن تهادننا.. لكنَّ نَحْسَتها ما تنفك تَرَجُّنا كي نستفيق.. حتى إذا ما استفتقنا؛ ما كان لنا من بدٍّ سوى أن نعيد الكرّة، وأن نملاً قدورنا بأحجار الأمان.

• نحتاج إلى إبرام صلح مع ذواتنا، وإلى تعديل شفافتنا المفرطة، ومثاليتنا العالية لأجل أن ننعم بقليل راحة وقليل فرح.. نحتاج إلى عدم رفع سقف تطلعاتنا.. نحتاج أحياناً - وإن كان ذلك يخالف مبادئنا - أن نقنع بالمتاح.

• أول خطوة للسعادة؛ التخطيط لها.. وأول خطوة للتخطيط؛ معرفة ما نريد.. كثير من الناس لا يعلمون ما يريدون، فيصعب عليهم التخطيط لحياتهم، ويمضون عمرهم في القيام بالأشياء التي ليس من ورائها طائل، أو تلك التي لا تستهويهم.. يمضي بهم القطار، وينهب المسيرُ عمرهم؛ ليستيقظوا يوماً.. وقد عاثَ المشيبُ في رؤوسهم وقلوبهم، وهم في القطار غير المناسب، وفي الاتجاه المعاكس لما يحبون.. يموتون في وقت مبكر جداً، ولا تدفن أجسادهم إلا عند خروج الروح. * حدد - بعد الاستعانة بالله - ما تريد من الحياة، وأين ستجد سعادتك أكثر، وكُن شفافاً مع نفسك؛ لتحدد قدراتك وميولاتك، ولا تقتلها بما دأب عليه الأهل والعشيرة، وما يفرضه المجتمع.. كن أنت لا ما يريدون منك أن تكون.

• قد تُعذر إن لم تكن من ذوي الهمم العالية لمعانقة الذرى والتحليق نحو السحاب وسبر أغوار المستحيل، لكن لا عذر

لك في الممكن والمتاح والمستطاع.. فليكن إبداعك فيها تتقنه، وإنجازك فيها تحيده، ويسهل عليك فعله.

ليس تشاؤمًا ولا يأسًا، ولا قلة رجاء وأمل أن تقيّم مشاريعك وأحلامك، فتضع رجلحك على الأرض، وترى ما يمكن تحقيقه عاجلاً، ولا يمكنه الانتظار، وما يمكن تأجيله - لا بتره من قائمة الأحلام - وما يجب العمل عليه في صمت، ونثر بذوره، وانتظار خروج الشطء. بعض المشاريع وقتها الآن.. الآن فقط، وليس غداً.. وبعضها سذاجة ورعونة وسفه أن تحاول تحقيقها.. ولما يحن وقتها.

كم نحتاج إلى وقفة من حين لحين، نعيد فيها ترتيب أوراقنا، وتصحيح مسارنا، ووضع النقاط والفواصل قبل الاضطرار للرجوع إلى السطر.. وكما نحتاج فيها - أحياناً - إلى تمزيق الصفحة والاستئناف، أو إلى تمزيق كل الكراسة، ونقش الحروف على باحة الأوجاع.

تنفس الأحلام كما تنفس وريقات زهرة.. تنثرها ترى.. تنفض عنك المستحيل والوهم، وما بنيت لأجله قصوراً فوق السحاب.. تشمر عن ساعدك، وتستعد للمغامرة، فما تبقى لك غير الواقع بضراوته.

- وكلما وشوشت لك الوسوس، وأرقتك الهواجس مُوحيةً لك أنك قد أسأت الاختيار، وبأن اختيارك منذ البداية لم يكن موفقاً.. فعَلَام كان الاستمرار؟؛ فذكرها بأنك قد استخَرْتَ، وبأن الذي اختار لك حكيمٌ عليم.. سبحانه، وبأن ذلك الذي أصابك ما كان ليخطئك أبداً، وأن في طيات الألم عبراً ودروساً وحنكة، ما كنت لتكتسبها لولا مدرسة المشاكل والوجع.
- ولو أن ما للاستخارة من فائدة - بعد حسن التوكل على الله - سوى الراحة والطمأنينة ومتابعة لطف الله، الذي يصاحبنا في كل خطواتنا؛ لكان حرياً بنا ألا نستغني عنها في كل قراراتنا.
- بعض مشاريعنا بقدر ما هي تحقيق لذواتنا ولطموحاتنا، بقدر ما هي رمالٌ ندفن فيها رؤوسنا كما النعامة، نغرق فيها أنفسنا كي لا نواجهها بحقيقة الحياة.
- الآن.. وليس غداً.. كلُّ تأخير يُحسب ضدك.. فاحذر التسويف والمماطلة.
- وكم من المشاريع الموقوفة التي ما زلنا نتَحَيَّن الفرص من أجل تحقيقها، ثم ما نلبث أن نُتُوهُ في زحام الحياة، وننسى أنها تقتحم ويخرج وقتها من الضيق.. فهذا العمر المتصرِّم لن

يقف بمحطتنا، ولن ينتظر ترتيب حقائبنا.. هو يحملنا على ما نحن عليه.. فإلى متى نسوّف ونُرجى؟

● عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ: "مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء. فأطاعه طائفة من قومه؛ فأذْجَوا، فانطلقوا على مهلهم فنَجَوا. وكذَّبته طائفة فصَبَّحَهُم الجيش؛ فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثْلُ من أطاعني؛ فاتَّبِع ما جئت به، ومثْلُ من عصاني وكذب ما جئت به من الحق" (رواه البخاري ومسلم). لن أقف مع المعنى الإجمالي للحديث، والذي يصبُّ في أن نجاة الأمة في طاعة الرسول - ﷺ - وهلاكها في مخالفته، ولكن ما يستوقفني، هو هذا المثل البليغ واللوحة المكثفة والضربة الفنية الساحنة، وذلك الانتقال من سرد البداية المؤكدة - على اقتضاها وسرعة سردها، وبما لا يسع معه شكًا أو ارتيابًا، فالراوي قد رأى بعينه ولم يخبره أحد - على هول الموقف، ووجوب السرعة في اتخاذ القرار، إلى المفاجأة في انقسام القوم بين مصدِّق ومختار للنجاء، وبين مكذَّب مستهتر مغَيَّب العقل والبصيرة، مختارٍ - بتماطُّله في اتخاذ القرار الصحيح - هلاكه، واجتياح العدو داره. إننا

في مواقف مصيرية شبيهة بما في هذه القصة، نحتاج إلى اتخاذ قرارات حاسمة، ونحتاج قبلها إلى الإسراع في اتخاذها، فكم من قرارات سليمة.. لكنها اتُّخذت متأخرة؛ فكانت النتيجة بخلاف المتوقع. ولن يتسنى لنا هذا الحسم في المواقف وسرعة البديهة من أجل الاستجابة؛ إلا أن تكون عندنا ثوابتٌ ومرجعيات، تكون وسيلتنا في فك الشفرات.. ولا يمكن أن نجد ذلك في مبعّد عن شريعتنا التي اهتمت بقضايا الحياة والمجتمع في أدق تفاصيلها، وفي نأي عن عقيدتنا المبنية على تفويض الأمر لله، والثقة به، والاعتماد عليه، ودعائه.. أن يختار لنا، وألا يكلِّنا إلى أنفسنا طرفة عين. فاللهم نسألك البصيرة والثبات، وأن تُرينا الحق حقاً، وأن ترزقنا اتباعه، وأن تُرينا الباطل باطلاً، وأن ترزقنا اجتنابه، وأن تعلق قلبنا بك وبرحمتك وولايتك.

- أحياناً، نحتاج إلى بعض الأنانية وحب الذات، رغم أنها تخالف مبادئنا؛ دفاعاً عن حياتنا، وعن اختياراتنا.
- وكلما زادت خستهم زدت ثباتاً على موقفك، وبقينا في سلامة قرارك.
- ولست أرى - بعد الإخلاص والجدّ والفطنة - من وسيلة لصناعة طالب علمٍ بمرتبة عالم؛ سوى الموسوعية، واتساع

الثقافة.. وقبلها الصدر للآخر. قلة علم وقلة بصيرة واطلاع وعرج في الاستبطاء والتحليل، وضيق الرؤية والصدور، وجعل الطلب غايةً وليس وسيلة، والاهتمام بالكيلات على حساب الجزئيات، والسرعة في الإنجاز، وفي إرادة الوصول؛ قد صنعت طلاباً، لكن على شاكلة الكثيرين ممن حُذِلنا فيهم.. قد لا يتكرر نموذج ابن تيمية بحذافره، ولن يتكرر لأننا لا نؤمن بفكرة الاستنساخ، لكننا بحق في حاجة لمن يفرغ نفسه لتمرينها على الموسوعية، وعلى التفتح الذي لا يعني بحال التلَوْن في الدين.

• أحياناً، وأنت تقف وقفة تأملية من أجل إعادة ترتيب الأوراق وتصحيح المسار؛ تجد نفسك عاجزاً عن تحديد موقع خطاك، ولا تدري هل حملتك الأحداث خطوتين إلى الوراء من أجل خطوة حيثة إلى الأمام، أم أنها زرعتك في نقطة البداية!

• بعض القرارات قد تحتاج منّا طرفة عين كي نتخذها، وأخرى ساعات أو أياماً.. وبعضها قد تأخذ منّا عمراً كي نعلم في الأخير.. أننا قد تأخرنا كثيراً في اتخاذها.. ولولا إيماننا بالقضاء والقدر لعشنا ما تبقى من عمرنا في حيرة وندامة على أننا لم نسارع.. ولولا أننا نؤمن بحكمة الله؛ لما علمنا أن ما بين دراسة القرار واتخاذ - أخيراً - حياة قد عشناها بمُرّها، وحلوها، ودروسها، وعبرها..

فاللهم يا حكيماً، ألهمنا الحكمة.. ويا رزاقاً، ارزقنا التَّوَدَّةَ..
ويا عليم، علِّمنا ما لم نعلم.

• ونحن في رحلتنا لترتيب تلك الفوضى العارمة، التي تكتسح
أعمقنا من حين لحين؛ ما أحوجنا إلى أن نتساءل: "وماذا
بعد؟" وأن نحاول الإجابة بكل منطقية وشفافية.

• لن يعيش السعادة من لا يفهم أبجدياتها، ولا يعلم كيف
يخطط لها.

• وكم يضع المهدف الأكبر في رحلة البحث عن الذات،
وبسبب الذنوب والغفلة والتسويق، وبالاستعاضة عنه
بالمشاريع الصغيرة.. إن هو إلا توفيق الله.

• وبعض مشاريعنا انتشرت دقائق وساعات هنا وهناك.. وبعضها
فُكِّكت أياماً وأياماً.. وتمر الشهور.. وتمر الأعوام.. ونجدنا
ما زلنا مغروسين في مرحلة " التخطيط من أجل التخطيط "
لمشروع كُنا - يوماً - قد ربَّنا أنفسنا؛ ليكون ما تقنى في سبيله
الروح، وما نُزِين به الصحائف، وما نُعَمِّر به خراب القبور؛
فضاع في التسويق وزحام الحياة، ونقمة الذنب.

• استعراض همومنا الدائم، ومُكثنا عند نقطة الألم؛ يؤخِّر خطواتنا من
أجل تحقيق مشاريعنا، ويعطل التخطيط المتزن لها.. لتكن نقطة الألم
بداية الانطلاق؛ فرحابة الحياة لا يُقيِّدها همٌّ، ولا يضيقها فشل.

- وبين "وماذا بعد؟" و "ليس بعد" .. أناس تتقلب بين الحيرة والشك، والاندفاع والعجلة، وآخرون يطبخون على نار هادئة، لا يستعجلون الثمار، ولا يغضبون الجنّي، ويجعلون من لحظات الانتظار؛ فرصة لترتيب تلك الفوضى العارمة التي تكتسح أعماقهم، ومناسبة للوقوف أمام المرأة في لحظة تصالح مع الذات، وإعادة صياغة الأحداث، والسعي لتحقيق مرتبة أفضل من مراتب العبودية.
- أليست الجذور مَنْ تُحدد إن كان علينا أن نعانق قامة السماء، أو أن نبقي فسيلة غائضة في عَضَيَاتِ قلوبنا المترنحة بين العمق والسطحية، بين المعاني والمواد، بين الموت والحياة!؟
- (تلك أمة قد خلت) ما أجَلَّها من قاعدة: مع الأحرار التي نأبى إلا أن نجترّها، وأن ننبش عليها القبور (تلك أمة قد خلت).
- مع أناس قد خرجوا من حياتنا، أو نحن من أخرجناهم بمحض إرادتنا (تلك أمة قد خلت). مع ذكريات مؤلمة تطفو فوق السطح من حينٍ لحين (تلك أمة قد خلت). مع ظلم قد أطار النوم عن المقلتين (تلك أمة قد خلت).
- قالت: أهو "استغراق في اللحظة الحاضرة؟" قلت: بل هو استفادة من "اللحظة الماضية" واستغلال "اللحظة الحاضرة"؛ من أجل نظرة متزّنة للتخطيط للمستقبل.
- أصعب القرارات أنصافها.

- إن لم تستطع حلَّ كلِّ مشكلاتك؛ فأعد ترتيبها على الأقل.
- الصبر، كما البؤس، يعيننا على اتخاذ القرارات، إذ هو الشاهد الأكبر على صحة ومشروعية قراراتنا.. يصنعنا، ويصير هزائمنا نصراً، وترنُّحنا عزماً وثقة.
- كم نحتاج أن نكون مرتَّين في أدق تفاصيل الحياة.. وحتى في تلك المناسبات التي تطبعها الفوضى.
- كثرة تدقيقنا في الأشياء.. تفقدنا السعادة.
- قد نخرم السفينة ونعييها.. من أجل هدف أسمى وأهم.. الحياة سلسلة اختيارات لا تنتهي.. فلنختر الأسمى والأهم.
- **وأخيراً..** فهمت أن الحياة لا تنتظر كي نعيش تفاصيلها، ولكنها تُقترح. وعلمت أن الألم هو ذاك الذي ما جُعل لأن نتعثر به، ولا لأن يتعثر بنا.. ولا لأن نحاصر أنفسنا بسببه بين أسوار المستحيل، إنما جُعل ليصنعنا، ولتُشكِّلنا دروبه، وتحملنا من عتمة الماضي إلى إشراقة الفجر الندي.
- إن كنت لا تحسن الرجوع؛ فلا تتوغل.
- هي حياتك وسعادتك، إن لم تدافع عنها أنت؛ فلا تسأل غيرك أن يفعل ذلك لأجلك، فما ناءَ بحمله جيدك أنت، أولى بجيد غيرك أن ينوءَ به.

- لا أثقل على قلبي من أنصاف كل شيء.. أنصاف الطرقات، وأنصاف الحلول، وأنصاف الذوات.. إما أن أكون أو لا أكون.. إما أن أعيش الحياة بتفاصيلها الصغيرة، وإما أن أنكفئ على نفسي فلا أطلب الحياة.. إما أن أعيش السجن الجماعي الصغير، وأقبل به، وإما.. فالسجن الانفرادي نعمة لمن عرف قدر النعمة.. أما أن أعيش في البرزخ، معناه أنني أعيش على هامش الحياة، وخارج فصول الرواية.
- كن جشعاً، لا ترضَ بالقليل، وارفض القناعة في الإنجاز.. إن كنت تستطيع الحصول على المرتبة الأولى؛ فلا أحد سيعذرُك ويسامحك أن تكون في المرتبة الثانية.
- واستثمر وقت حماسك، واشتغل؛ فإنك لا تعلم متى تنطفئ.
- نصهر مع الأحداث ونغفل عن أنها تعمل فينا بالإيجاب أكثر منه بالسلب.. بصماتها رسائلُ غيب.. كم نحتاج للحكمة والتؤدة من أجل تفكيك شفرتها.. قد نغرق في ألمٍ، ونظن أنها النهاية؛ فإذا به نهاية عهد الأوجاع، وبداية عهد العطاء والإنجاز.. وقد تداهمننا مشكلةٌ إثرَ مشكلة، فإذا بالمشكل الثاني حلٌّ للأول.. له الحمد من كريمٍ، وله الحمد من لطيفٍ، وله المنة والفضل والثناء الحسن؛ على ما يعطي، وعلى ما يمنح.
- حروبهم المتجددة المتكررة علينا تحفّزنا.. تجدد فينا الطاقة، وتمدنا بمزيد ذخيرةٍ من أجل عبور جسور التحدي.. ثمة

أناس قد جعلوا عشرةً في طريقنا، ليس من أجل أن نتعث، ولكن من أجل أن نتعلم كيف ننجح في إزالة العراقيل، وكيف نقفز في إتيقان وثقة وحِكمة على كل ما يعترض سبيل نجاحنا.

• تريد قهرهم؟ حقق مشاريعك، وابذل قصارى جهدك من أجل النجاح.. يريدون أن يتفرّجوا على طللك، الذي راؤوا تحطيمه بمعاولهم، ينتظرون بفارغ الصبر أخبار إخفاقك، وعدم قدرتك على المواصلة من غير وجودهم، ويترقبون فرصة التشفي على أحرّ من الجمر.. استعن بالله واخذلهم.. ربّ مشاريعك، واسعِ واثقاً؛ لأجل تحقيقها.. أنجح، وتفوّق، واستمتع بنشوة الإنجاز.. مزيدُ قربك من الله مشروّعك الأول.. وهو يذل لك الصعاب. عطاؤك اللامتناهي لمن حولك تحصد قطّافه محبةً وتوفيقاً، واتساع صدر، وازدياد رصيد مشاريعك في الحياة. قم وانفض عنك الغبار، وابتسم لرحابة الحياة، واكتب سطورَ خيبتهم نجاحاً وثقةً بها عند الله.

• المنهجية وتحديد الأهداف، أهم خطوة في نجاح أي مشروع، والإخلاص.. وسؤال الله المددَ ميزانُ النجاح الحقيقي. لنجعل أهدافنا نورانيةً سماويةً، ولنسأل الله التيسيرَ والفتح والبركة.. فلا شيء مثله يستحق الالتفات حوله من زادٍ يبلّغنا - بإذن ربنا - المآمن.

كسروا أوثانهم

- لا شيء،
غير أننا نحتاج إلى أن نسعد باختياراتنا، دون أن نجد من يترصدها بقلمه الأحمر.. وأن نعيش اللحظة التي نحن فيها كما نريد نحن، لا كما تهوى مخططاتهم وقراراتهم.
- جرعة من كرامة، وعزة نفس، وحسوة من أنفة وإباء، ونزرة من أحلام وأمان؛ كفيلةً بجعلك تبدين كنازحة من رُحل، أو كمارقة تستحق الجلد والتعزير. ولا تسألهم - حينها - عن شرع الله، ولا تحاولي إقناعهم بالتزامك حدوده؛ فكل الشرع - حينها - سيعطّلونه فداءً لنظرتهم العقيمة السقيمة.
- أن تكون حياتك مخالفة لما راموا لك أن تكون؛ يحتاج منك أن تدفع مهر اختيارك.
- هلاً سألوا إذ لم يعلموا!؟
بعض الناس يمنح نفسه أحقية التدخل في شؤون غيره، فينزِع إلى قواعد المنهج التجريبي من فرضية وتحليل، واستخلاص النتائج. ومن ثم، إصدار الأحكام.. لكن - بالتأكيد - من غير عنصرٍ النزاهة والحيادية. وليته اكتفى بذلك، بل إنه يختم على تصوراتهِ

بخاتم اليقين الذي لا يراوده شكٌ، ولا يأتيه الخطأ لا من بين يديه ولا من خلفه، معتمداً في ذلك على تخمينات لا يعنيه التحقق من صحتها، واحتمالات لا يابُّه بنسبة إمكانية وقوعها من عدمها. وحيث أن يقينه لا حدود له، وأحكامه لا مثيل لها؛ فإنه لا يجد في نفسه حاجة إلى أن يعرض النتائج على من تولى التدخل في شؤونهم؛ ليرى إن كانت تخميناته صحيحةً، ومذاهبه موافقة لواقعهم قبل أن يصدر حكمه. والعجيب، أنه لربما بذل النفس والنفس من أجل إقناعهم برأيه واستمات في الدفاع عن أحكامه، التي هي - في الأصل - لا تعدو أن تكون تخمينات أو تصورات قد تكون موافقة للواقع، وفي الغالب هي أبعد ما تكون منه. فإذا قبلنا - جدلاً - أن يقحموا أنفسهم في شؤون الخلق؛ فهلاً - كرمًا - سألوا إذ لم يعلموا.. قبل أن يحكموا؛ فإن شفاء العيِّ السؤال.

• أعترض، ولن أسمح لأحدهم أن يشكك في مسلماتي وما أدين الله به.. لن أتركهم يرضخونني لـ "يعوقهم" و"نسرهم"، ولأوثان جاهلية ما أخرجتهم من الديانة لها لحية ولا نقاب ولا طيُّ رُكب في حلق الدروس. الحلال ما أحله ربي، والحرام ما جاء مفصلاً في ديننا؛ كي لا نتوه، وما رضعوه هم من أفكار مجتمعاتهم السقيمة التي ما استطاع نهلهم من كتب الفقه أن يفصل لهم في أذهانهم بين موروثات مجتمعية وبين حدود شرع

الله؛ لن يخضعني أمام وشواتهم ونظراتهم الشزراء.. لكهفي
وتشرقي أفضل لي ألف مرة من أن أجعل التدين مظهرًا،
والتسَنُّ حفظًا للمتون، ولأبواب الفقه، دون أن أكلف نفسي
كسر القطيعة بين ما يُحفظ وما يُطبق ويُنزل على الواقع.

● بعض ما نحن عليه، استمرار لرؤية الأشياء بنفس النظارات،
ومن نفس الزاوية.. أما آن الأوان لنعتقد خلاف ما نعتنقه،
وأن نسطر لأنفسنا مساراتٍ جديدةً نتحرر فيها من الكائن
المعطل داخلنا، ومن سجن الأفكار التي جعلناها دستورنا
في الحياة.. والحياة ما احتضرت على شفاهنا إلا بالغرق فيها.
لكم نحتاج إلى التمرد والثورة، وتحدي كل تلك الإعاقات
التي تقتل فينا الحياة.

● قراراتنا؛ يكفي أن تكون سليمة ومحكومة بشرع الله؛
لتجعلنا أكثر جرأة وأكثر جسارة، وأكثر استعدادًا للدفاع
عنها.. طموحاتنا تخصُّنا وحدنا وليس لغيرنا أن يحجر
عليها.. امضي ولا تلتفت.. وتحمل تبعات قراراتك..
ثمة اختيارات لا ترضى إلا بدفعك مهرها.

● متى كان الناس على الناس أوصياء؟
لفترة طويلة، كنت أظن أن الناس أحرار فيما يذهبون إليه،
وكنت جدُّ مقتنعة بالمقولة التي مفادها: "حريتك تنتهي حينما
تبدأ حرية الآخرين"

ولسبب ما؛ اعتقدت أن منطقية هذه العبارة، ووضحها ووضح الشمس في يوم مشرق؛ ستجعل الناس يقتنعون بأن ينشغلوا بأمورهم عن أمور غيرهم، وستحدد لهم حاهم فلا يداسون ولا يدوسون..

لكنني فوجئت - ولأكثر من مرة - أنها ذلك الوضوح واعتبار المنطقية فيها إنما كان في ذهني، وقلة قليلة من تلزم نفسها بمقتضاها؛

فإن أراد أحد الزواج فإنه لا يسلم من ثلة أسئلة من قبيل: (كيف؟ وأين؟ ومتى؟) التي - في الغالب - لا يأنف من الإجابة عنها (إلا إذا اختار قضاء حاجته بالكتمان)، ومن أسئلة أخرى أكثر إحراجًا من قبيل: (لم؟)

ولست أرى من أراد الطلاق بناج من تلكم الأسئلة، والأمر نفسه لمن أراد شراء بيت أو اقتناء سيارة، أو بيع قطعة أثاث، حتى صار أحدنا إن أراد أن يتخذ قرارًا في حياته؛ ملزمًا بوضع تقرير مفصل يجيب فيه عن كل تلكم الأسئلة، ومن باب الاحتياط.. عن أسئلة أخرى حسب الموضوع وملابساته؛ تحسبًا لأي طارئ، وأية مداخلات جديدة لم تكن في الحسبان. وليت الأمر يقف عند حد الاستفسارات والاستنطاقات، فلربما كنت مضطرًا - بعد جعلك التقرير المفصل رهن إشارتهم - إلى

مزيد من توضيحات تستعين فيها بكل ما أوتيت من مهارات الحوار وفنون الإقناع، فلعل قرارك لم يحظَ بقبولهم، واختيارك لم ينل منهم الرضا. فما عليك سوى الدفاع باستماتة واستنزاف كل طاقاتك وجهودك؛ لأجل ذلك؛ وإلا فدعهم يختارون لك، وأذعن لقراراتهم - حتى وإن كانت لا تناسبك - كي ينظروا إليك بعين الرضا، ويسمحوا لك أن تكون فردًا نجيبًا مطيعًا، تسير أفكارهم، وتسلك منهاجهم، وتقتفي خطاهم، وتشبع رغبتهم في حب السيطرة والتملك، وتساعدهم على تنفيذ وصاياهم عليك. وعدا هذا وذاك، فما أنت سوى فردٍ متمرد خارج عن فروض الطاعة.. حقُّ فيك الجلدُ والتعزيرُ، أو النفي إلى كوكب يليق بك وبأمثالك، ممن كسروا حواجز التبعية، وفرطوا سلاسل الركون، وهدموا أسوار الخنوع وقلاع الاستكانة.

● نحتاج إلى من يتذوق الحياة لا إلى من يعيش، وإلى من يتذوق الكتب لا إلى من يقرأ.. وإلى من يُقدِّر قيمة الأشياء لا إلى من يقتنيها.

● غربة أن تحرك عقلك، وأن تبحث عن نفسك، وأن تحطم أصنامهم.. لا تنتظر تصفيقهم، ولا تبجيلهم؛ ولكن جهّز نفسك لمخالب تنهش وجهك، ولعبارات - إن لم تحترز من سُمِّها - مزّقت منك الأحشاء.

لذة العطاء

- أجمل الأحلام وأرقى الأمنيات؛ أحلامهم.. تلك التي ليس لك منها سوى مرآبٌ ضلوعك.. يستودعونها خلفها آمنين.
- ليتنا نتعلم الانسلاخ من ذواتنا، وتقمص شخصيات الآخرين؛ حتى يتسنى لنا الحكم بموضوعية وشمولية.. ليتنا ننجح في إخراج أنفسنا من رحلة التشرنق؛ فالفراشة لم تتمكن من رؤية العالم من فوق إلا حينما خرجت من شرنقتها، وغيّرت نظرتها "اليرقانية". والفرخ لم يكن ليصير طيرًا، وليستكشف الفضاء؛ لولا خروجه من قشرة بيضته، وتغيير نظره "الصوصية".
- لا تطلقوا الأمنيات وحيدة مستوحشة، ولا تتركوا الدعوات تحلق في سماءات الرجاء والضراعة.. دون أن تحمل فوق أجنحتها أمنيات إخوانكم وأحبابكم.. ولتتعش أرواحكم بعطر ملائكي يعبُّ في الآفاق بدعوة كريمة؛ لكم منها ما دعوتكم به لغيركم.
- لن يتر الله نفقةً في سبيله قد انتزعت طوقاً من شعب الضيق.

● مخاطبة الأرواح صنعةٌ لا يتقنها إلا قريبٌ منها، شفيفٌ رقيقٌ أسيّفٌ.. فمن اجتمعت فيه وزاد عليها؛ حسنٌ منطقٌ وعذوبةٌ بيانٍ؛ فلا مناصٌ ستزهر كلماته في بيداء القلوب وجذب النفوس، وستعقب الأعماق المستفحلة تتصوّع بطيب الكلام، وستنبت - بفضل ربها - امثالاً، أو على الأقل محاولاتٍ متكررةً لصقل حجر القلوب المتكلسة.

● تنظر حواليك؛ علّ شيئاً من روحك ينتفض.. علّ تمردها المعهود يحجب عنك برائث الاستسلام.. لكنها مستكنة لا تتمرد.. ليس لها الحق - الآن - أن تتمرد.. تجد نفسك غارقاً في كل شيء حولك، تائهاً عنك.. مغلوباً مسحوقاً مطحوناً.. مستسلماً لعجلة الحياة تدور بك.. لست لك.. لا تصلح لشيء عدا أن تعيش فانوساً تضيء لكل من حولك، وفقط لهم. كل المعابر إليك مغلقة كي تبحث عنك.. وكل المرافئ لا تستقبل الزاهدين في الحنين.. ارفع رايتك البيضاء، وطبّ بعيقٍ كُتبَ عليك أن تنثره دون أن تستنشقه، وبنور قُدر لك أن تشره.. لا أن تستضيء به.

● تلك الأشياء التي تصرّ على ألا تتحقق في حياتنا.. وتلك الدروس التي استوعبناها وما من سبيل إلى تطبيق ما استوعبناه على أرض واقعنا.. تلك التجارب التي تصرّ على

مشاركتها مع من حولك.. تمدهم بخلاصتها؛ لكفيلةً بأن تجعلك تدشن دساتيرَ سعادة خاصة لا تشبهها سعادة.. ما لم يتحقق فيك أنت؛ فاحرص على تحقيقه في من حولك.. لعمرى؛ تلك نعمة لا تُقدَّر بثمن.

- وسع دائرة أحلامك، واخرج بها من ضيق استثارك بها إلى رحابة رؤيتها في غيرك.. فإن ماتت فيك أنت؛ فأحْيها بتحقيقها فيمن حولك.

- بعض تجاربنا في الحياة تجعلنا ننزعج أكثر مما يجب، حتى إننا لنحس بالمسؤولية عن كل من حولنا.. وبأبوتهم أو أمومتهم.. نتمنى لهم السعادة، ونودّ أن ينجحوا بكل ثمن، وبأن يصلوا لما لم يُكتب لنا نحن أن نصله، وألا يلحقهم من الأذى ما لحقنا.

- ما أجمل أن يكون التأثير الإيجابي متبادلاً بين الناس، حتى إنه لا يُعلم من المؤثر.. ومن المتأثر: "طيبة قلبك؛ جعلتني طيباً" فيجيبه: "بل أنا من جعلتني طيبةً قلبك طيباً"

- وما سعادتنا إلا سعادتهم.. نحتاج أن نرى إشراقة محياهم، وبسمة قلوبهم، وتحليق أرواحهم؛ كي نكون بحق سعداء.

- أحياناً كثيرة، تكون حاجتنا إلى فضفضتهم أكثر من حاجتهم هم لأن يفضفضوا.. نحتاج إلى أن نحمل عنهم أكثر من حاجتهم إلى أن يشركونا ما ناء به جملهم.

• ما أجل الاعتذار! وما أجل ساحة النفوس حينما تحس بخطئك تجاه أحبّتك؛ فتبادر إليهم ليحلّلك مما قد بدّر منك من غير قصد، وليعذروك إن كنت قد أسأت لهم من حيث لا تدري، فتجدهم يبادرون لنفس الاعتذار.. كلمة بسيطة على من وفقه الله إليها: "اعذرنى" أو "آسف"، فترجع المياه لسواقيها، والوداد لسالف عهده.

• لكم نسعد ونحن نسعى لنُدخل الفرحة على قلب حزين؛ فنبذل كلّ الجهد؛ كي يرقأ الجفن السحاح، وتنبعث البسمة في فغار الملامح الواجمة.. فتتخير من الألفاظ أجملها وأبلغها؛ كي يكون بحقّ إسعادٌ راقٍ جميل. ونسعد أكثر لما يكون ذلك بكل براءة وعفوية وتلقائية، لم نتكلف فيها انتقاء الكلم، ولا تخير العبارات البليغة، بل نخرج الكلام رِقْراً مُنسباً كما يتدفق الماء بالغدير.. وكما تبعث الشمس خيوطها الذهبية دون أن تخطط مسبقاً لمشروع النور.. وكما يهطل القطر المجهول على الجود والسخاء مدراراً، وكما ينشر الورد عبّقه، والنسيمُ شذاه دون أن يستأذنا.. أو نأخذ منه لذلك موعداً. هي قلوبهم الصافية المرفهة، الحساسة لجمال الروح.. وآذانهم المتتقية للسمو والرقى، وأرواحهم العذبة الشفافة؛ ترغمننا على رحلة الألق والصفاء والنقاء. وتبقى عبارتهم: "أسعدك الله كما أسعدتني" جميلاً يطوّق أعناقنا، وأمانةً

في عهدتنا، ما تعهد الجمال أن يكون لأرواحنا البرواز، وما ظلت قلوبنا الشفيفة تتبرج بمعاني الود، وقواميس الرقة والعذوبة.

● بعض الأقوال والأفعال إذا طُلب من الآخر - تصرّيحاً أو تلميحاً - قولها، أو القيام بها؛ فقدت معناها.

● طوّقوهم بحُكم وهداياكم؛ ربّ هدية صغيرة ألّفت بين القلوب، وأنّست سالفَ خصام.. فإن لم تجدوا؛ فابتسامة وبشاشة وكلمة طيبة ورحة.. تلك أبسط معاني العيد؛ لمن أراد أن يكون له - بحق - سعيداً.

● تلك العصافير المترنمة كلّ صباح قربَ شباكك؛ ما لديها ما تهديك، سوى تغريدتها الصباحية.

● اعترافك بإبداع الآخرين، لا يُنقص من تألقك شيئاً.

● "ذكرني بالله؛ كلما لمحت ضعفي، وكلما رأيت غرقي في لجج الأحزان".. تطبيق عملي للتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

● بعض المواقف تكتب نفسها بنفسها.. في عز الظمأ ترويك قطرة، وتحس بالصدق في كلمة "افتقدتك"؛ فتنتشي لدرجة البكاء.

● مرات عديدة، لا نحتاج إلى من يصفق لنا.. ولا إلى من يصدقنا، أو يعذّرنا.. لا نحتاج؛ إلا إلى من ينصت باهتمام إلينا.

• والروح تئنُّ لأنينهم.. ومع كل آنَّة، تتبعثر حروفنا وتغور
آلامنا.. ولا نملك لهم سوى الدعاء.

• بعض الناس تود لو عندك عيون أخرى. وقلب آخر،
وعُمْر آخر؛ لتهديهم إياها.. تخشى عليهم من ألم الفراق؛ إن
افتديتهم بقلبك ورحلت.

• لطالما آمنت بمقولة: (فاقد الشيء لا يعطيه)، وكنت - جدُّ -
مقتنعة أن من فرَّغت جعبته من شيء؛ فيستحيل أن يجود به..
لكنني بتُّ متيقنة الآن، وقبل أي وقت مضى؛ بأن هذه العبارة
ليست على إطلاقها، وبأن فاقد الشيء قد يعطيه.. وقد يملأ
الدنيا بما لم يُعطَ هو، وبأن الكثير من المفارقات هي ما تصنع
التكامل، وترسم جمال الحياة.. نأخذ الحكمة من أفواه السفهاء،
ويعلمنا الفاشل كيف ننجح، ويقودنا المنهزم إلى قيادة المعركة
بيسالة وجسارة وانتصار.. وكلُّ منهم قد فقدَ ما فقدَ في ميدانه،
لكنَّ المفارقة أبت إلا أن تجعل مَنْ كان منَ المفترض أن يكون
سالبًا؛ أن تجعله فعلاً نافذًا مؤثرًا دافعًا للمركبة.

• الحب والاحترام والتقدير، أكبر دافع للمرء أن يُخرج أحسنَ ما
فيه، وخير ما عنده. والاحتقار وعدم الاهتمام والسخرية؛ كما
الصخرة تسدُّ فوهة المنبع، ولا تترك من الماء ما يتدفق منه إلا ما
تسلل خلصة من بين ثنوءاتها، وشقوقها.

● جميل أن تجد في المحن من يواسيك، وينصت إليك،
ويحمل عنك، ويرتشف دموعك.. والأجمل، أولئك الذين
يشاركونك مشاهدَ التفكير في اللطف والود، ويقتسمون
معك وارداتِ الحكمة، ويتسمون لَوْمُضٍ بِسْمَةِ مَنْكَ.. قد
نَزَّتْ من شقوق شفئك المتكلسيتين المصلوبتين على مقصلة
انتظار الفرج، وقد علموا فذكَرُوكَ أن الفرج لا يتخلف
عَمَّنْ فَوْضَ الأمر لفارج الكربات.. تلك المُزْنَ التي إن لم
تصبّ عليك وابلَ الرحمت، وأنت في جذب المحنة والمعصية
والتيه والشرود؛ فطَلَّ.

● وحدهم أولئك الذين يخوضون معاركهم.. بابتسامة
ينتصرون.. أما الذين تُعَشِّشُ في قلوبهم رتابة الماضي، وقسوة
الماضي، وتفاهة الماضي؛ أشقياء.. ما عرفوا أَنَّمَا الصبح تمزيقٌ
لِسُدُولِ الليل، وإشراقَةٌ مع بسمة الشمس، وصدْحُ بترانيم
البشارات واليقين فيما عند الله.

● ولا أرى من حلٍّ للمشاكل الزوجية.. ومن وسيلة لجعل السعادة
تترف بين الزوجين - بعد الاعتصام بهدي نبينا ﷺ - إلا
العاطفة والسخاء والذكاء.

● لم تفشل، ما دمت تستطيع أن تغير فيهم.. ما لم يُكتب أن
يتغير لك أنت.

• أبشّر من ربّ كريم، محسن، شكور، بالخلف وبالإحسان؛ كما أحسنت، وأنفقت على من ولّك الله شأنهم.. فإن كنّ بناتٍ، فأبشر بالزكوات والبركات وفيض الخيرات.. وأن يرزقك الله - وإياهن - خيرَ ما رُزق مستعطٍ.

• هل يعفينا كَوْن من نتعامل معهم.. لا يفهمون معنى الإحسان؛ من أن نؤدي حقهم علينا؟ إنما الوقوف بين يدي الله، وسيحاسبنا على التقصير، فهل يمكن بحالٍ أن يكون جوابنا: هم لا يقدرّون ولا يفهمون؟

• لا حقّ لك في الضعف أيها الحاملُ غرسًا قد بذرتَه وسقيته دمعًا ودمًا، ولم يبق لك سوى القُطاف.

• وحينما يسلم الفكرُ من الانحراف والفساد والعنف، وتُبنى الرؤى والمعاملات على الحب والرحمة؛ يسهل أن تتوهّج فتيلة الحق في القلب، فتنير شُعبه، وتدبّ الحياة في نتوءاته، ويتعدى نورُه لمن حوله.

• مرات نتمنى لو كنا أقلّ اطلاعًا على أعمقنا، وأقلّ فطنة ونباهة لما يجري حولنا، وأقلّ إحساسًا وشاعرية، وأقلّ تعاطفًا مع من نحب؛ كي لا نتعذب لأجلهم.. فأصعب الآلام تلك التي لا تكون أنت جزءًا منها، ولا هي جزءٌ منك، إلا بقدر ما تُقحمك فيها مودُتُك لغيرك، وشعورك بمعاناتهم.. من يتألم بسبب

مشكلة تخصه، لديه كل الحيل الدفاعية كي يتجاوز الألم، فوحده يعلم الحقائق والمخبوءات، وكل تفاصيل الحكاية، أما أنت أيها المصلوب على حافة ألم أحبابك.. فما يجديك غير أن تتألم لأجلهم بصدق، وأن تسكب لأجلهم العبرات الحرّى الصادقة، وأن تهجر الراحة والنوم، وتُضي وقتك تنتظر أن يكفّوا عن الألم؛ كي يبرحك أنت.

● جريمة..

● أن تُمنع ما تريده من الحياة فتمنعها - انتقامًا - عطاءك.

● إن كنت تستطيع أن تعطيها وأنت تفضل عن ذلك المنع؛ فانظر على الحقيقة ممن تنتقم.

● وما قيمة مضغّة في جسدك حرّمتها أن تنبض حبًا ورحمة؟!

● سألتني: كيف حالك؟ قلت: حال من تيقّن أنه قد أخذ حظّه مما عَفّت به الحياة، فلم يعد ينتظر عطاءها، وقرر - عوضًا عن ذلك - أن يعطيها هو.

● وهل لأنك نُكبت ولُدغت من ذات الجُحر مرتين أو ربما مرات، سيغير ذلك من طبعك ومن مبادئك، ومن نظرتك للأشياء المبنية على فهم صحيح لما هو مطلوب منك تحقيقًا للعبودية، وامتنالًا لأمر الله في معاملتك غيرك؟ تأخذ بالأسباب، وتتوخى الحذر، وتعلم أن لدغتك تمحيص،

ونكتبك ابتلاء.. تحاول استيعاب الدرس، وتمضي في طريقك رافعاً لواء الحق، والعدل، والخير، والطيبة.. أنت بربك، ومع شرع ربك.. وليس لنعيق ولا لزجاجة أن تعوق مسيرك، أو أن تغير مبادئك.

• حينما تمتد حياة قلبك إلى غيرك، وتستقي كُنْهها من الشعور بمن حولك؛ فإن فرحك ما هو سوى تخطُّ لإدراج ذاتك، وتوحد معهم، وألئك إنما هو مشاركة لأحزانهم، وغوص في باحة شعورهم.. تنسى نفسك فيهم، وليس بينك وبين أعماقهم سوى ما يفصل بين المساحات والأماكن، واختلاف الأسماء، والذوات.

• وهل لأنهم خانوا.. ستخون؟!

• حينما تلوذ زوالاً بفراشك، تلمس في دفته انتصاراً على الصقيع، وراحة بعد كد طوال الصباح، فيُصرُّ ذلك البائع المتجول أو مشتري الحاجات القديمة، أو سائل الخبز اليابس الذي يسترزق ببيعه لأصحاب الدواجن، على رفع أصواتهم أو المكبر في نداء متكرر، وكأنهم يستعطفون القابعين تحت الفرش، وقرب السخانات أن يتنبهوا لهم ولحالهم.. لا تدعو عليهم ولا تُلزمهم في حالهم ذاك بأية الاستئذان، ولا تتحامل عليهم، أو تتعاطف - ولو سراً - مع جارك الذي أخرج رأسه من الشباك مزججاً متبرماً

منتَهراً ومتوعداً.. تذكر أنك في الوقت الذي كنت تملأ بطنك بما
لذ من الطعام الساخن حتى كان الامتلاء سبباً في الاسترخاء،
وطلب النوم، وفي الوقت الذي احتميت فيه من البرد والمطر
بسَخَّانك وبطانتينك، كان هو يكابد رحلة اللَّف على الدروب
والحارات، ويحمي - فقط - عربته المحملة بقشّه - مورد رزقه
- ، وقد ترك رأسه وجسمه معرّضاً لما لا يمكنه بحالٍ الاحتماء
منه.. مادام ينتظره سبوح طويل، وتسكّع مُضنّ في الطرقات.

● هذا الذي حمل قلبه بين كفيه، يتصدق بشغافه عمن حوله،
ويسيح دماؤه على أعتاب المتحوّجين.. يغدو في حاجة من
عرّف.. ومن لم يعرف، ويروح بالقناديل يُنير بها خطو
المثقلين بالأوجاع، ويلتقط خزف البسمات من براميل
شجّوه، يوزعها غنيمةً لمن تشوّفت روحه للغنائم. بشراه..
اسمه مكتوبٌ في السماء بين الأمنين.

مجرد إنسان

- ويحدث أن تُسلم لنفسك بأن تختبئ في حضن إنسانيتك.. وأن تستسلم بين يديها.. وتنتشي أنك أنت.. أنت.. في عينك أنت.. تتوارى عن أعينهم؛ كي لا يَنْصبوا للنشوتك الكمائن، وكي لا يفرضوا عليك جزيةً اعتناق الفرح.. ويحدث أن تصدّق بأنك لست من هنا.. وبأن وطنك هناك خلف المجرة بعيدًا عن درب التبانة.. فتغمض عينيك، وتهيم أنك - فعلاً - قادمٌ من هناك.
- يا ليت لنا قلوب الأطفال، وحكمة العجائز.
- المرض، وجه آخر للصمت، وللاغتراب.
- هو قلب واحد، وعقل واحد، وروح واحدة، فإما أن نشغلها بما يحييها، وإما أن نشغلها وتشغلنا بما فيه كل شيء.. إلا ما منه حياتُها وهناؤها، وسكيتها.
- تلتفت إلى الحزائى المكرويين من حولك، فما من دمعة من دموعهم إلا ولك في المؤقتين مثلها، وما من آفة.. إلا وحشرةٌ منها في صدرك، وما من آهة.. إلا ومنها قد تمرّق الشريان.. وتنسى أن تنظر إلى من عافاهم الله وعافاك مثلهم،

وأغناهم الله وأغناك مثلهم، وأطعمهم الله وأطعمك مثلهم،
وجعل لك من كل ما وهبهم نصيباً مفروضاً.

• منتهى العجز والضعف.. أن تُضطر - راغماً - إلى أضيق
الطرق، فتجد نفسك لا أنت بقادر على الماضي، ولا أنت بقادر
على النكوص، ولا أنت بقادر على الوقوف.. حيث أنت.

• من سيصدق أن هؤلاء الذين اعتادوا على أن يُعيروا أسماعهم
وقلوبهم وأرواحهم لمن يلقوا بأحمال أو جاعهم بين أيديهم؛
يحتاجون أيضاً لعقل واعٍ، وسمعٍ فطنٍ، يحمل عنهم همَّ
البوح، وعبء الأحران؟

• بارعون في تقمص الآخرين، فاشلون في تقمص الذات.

• أشياء كثيرة في حياتنا، نتعلق بها.. حدّد أن نكرهها، وأن نكره
أنفسنا فيها.. نريدها؛ لأننا لا نستطيع إلا إرادتها، ونكره
أنفسنا؛ لأننا لا نريد أن نستطيع كرهها.

• ذلك اللقاء مع نفسك، وتلك الطلّة على المرأة، وأنت تتساءل:
من أنا؟ أحقّ هذا أنا؟ .. قد نجحوا - حقاً - في أن يجعلوك ترى
نفسك بعيونهم، وتسرب كلامهم إلى أعماقك، ورؤيتك للمرأة
بهذا الشكل، ما هي سوى محاولة بارعة لتكريس ما قالوا.

• من السهل حال العافية أن ننصح ملءً أشدّاقنا بعدم الاكتراث
لإساءة مَنْ حولنا لنا، لكن حالة الاصطدام قلماً.. وقلّ مَنْ

يستطيع السيطرة على المشاعر، فضيق النفس وكدرها من الإساءة جبلة بشرية، ومزاج إنساني.. لا أحد يستطيع أن يتفادى الوقوع فيه.. والنبي - ﷺ - كان يحزن، ويصيبه ضيق في صدره؛ بسبب إيذاء الكفار له، بل حتى كتمان ما يُكدر قلباً نستطيعه، وقلماً نجد في أنفسنا طاقة لكظم الغيظ، وهو الكمال المطلوب، لكن.. لعلم الله - سبحانه - بتفاوت قدرات النفوس، بل بتغير النفس الواحدة أمام نوعية الظلم التي يحيق بها؛ لم يكلفنا ما لا طاقة لنا به؛ فأجاز للمظلوم أن يتظلم، وأن يُخبر عن ظلمه، بل وأن يدعو عليه..

قال البغوي - رحمه الله - :

قوله: (لا يحبُّ اللهُ الجهرَ بالسوءِ مِنَ القولِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ) يعني: لا يحبُّ اللهُ الجهرَ بالقبح من القول إلا من ظلم، فيجوز للمظلوم أن يُخبر عن ظلم الظالم، وأن يدعو عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾

(الشورى - 41)، قال الحسن: دعاؤه عليه أن يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج حقي منه، وقيل: إن شِئَمَ جاز أن يَشْتُمَ بمثله، لا يزيده عليه) اهـ.

وقال صاحب التحرير والتنوير في تفسير نفس الآية:

(ورخص الله للمظلوم الجهر بالقول السيئ ليشفي غضبه؛

حتى لا يثوبَ إلى السيف، أو إلى البطش باليد. في هذا الإذن
توسعةٌ على من لا يمسك نفسه عند لحاق الظلم به، والمقصود
من هذا هو الاحتراشُ في حكم لا يحبُّ اللهُ الجهرُ بالسوء من
القول. وقد دلت الآية على الإذن للمظلوم في جميع أنواع
الجهر بالسوء من القول، وهو مخصوص بما لا يتجاوز حدَّ
التظلم.. فيما بينه وبين ظالمه، أو شكاية ظلمه: أن يقول له:
ظلمتني، أو أنت ظالم، وأن يقول للناس: إنه ظالم. ومن ذلك
الدعاء على الظالم جهراً؛ لأن الدعاء عليه إعلانٌ بظلمه،
وإحالة على عدل الله تعالى).

فلا تلمزوا بأقصى درجات الكمال من لم يتعدَّ حدود الله،
وحامٍ حول الرخصة، فما يطيقه أنت قد لا يطيقه غيرك، وما
يطيقه أحدنا أمام غيبة أو نهب أو عنف جسدي، قد لا يطيقه
إن كان المساس بدينه أو بأخلاقه، أو بكرامته.

والحمد لله ربُّنا الحكيم، العليم، الخبير الذي خبَّرَ نفوسَ
خلائقه؛ فشرع لهم أن تدور أفعالهم بين الإسلام والإيمان
والإحسان، ولم يكلفهم ما لا يطيقون.

• التبريرات المتواصلة لأخطائنا حيلةٌ دفاعية نحمي بها أنفسنا
- مؤقَّتاً - من الألم والأسى وخيبة الأمل.. ولو تعاملنا مع
إخفاقاتنا بمزيد حكمة لما وقفنا عند نقطة الألم، ولجعلنا من

فشلنا فرصةً للنجاح.. لا عيب أن نخطئ، ولا إشكال أن نؤثَّب أنفسنا دون جَلْدٍ عنيف؛ فالاعتراف بالخطأ دافعٌ حيثُ لا إصلاحه، ومناسبةٌ لتفاديه فيما يُستقبل من الأيام، فلا نجعل الاعتراف مبلغَ طموحنا؛ لنقنع أنفسنا أننا شفافون صادقون مع أنفسنا، ولا نعلق أخطاءنا المتكررة على شهادات التبرير.

ربما نحن لا نحتاج أحياناً كثيرة إلى من يجلِّنا، ولا إلى من يصفق لنا، أو يوشحنا بأوسمة الإعجاب.. تكفينا كرامة محفوظة، ولطفٌ ينم عن احترام واعتراف، واعتذار.. إن كان الخطأ.

ما أبسط الحياة! وما أكثر من يجعلها ترسانةً حربية، فلا يخرج منها إلا بالخسائر، والهزائم، والفقد!

خطؤنا في الكثير من الأحيان، أننا نقصد الماء الراكد.. نودُّ أن نصطاد منه سمكاً، أو إلى بؤرة صخرٍ نريد أن يصبح الصخرُ جوهرًا.. نخطئ في التحديد ابتداءً.. وإذا ما اكتشفنا خطأنا؛ غابت عنا بوصلة تصحيح المسار.

نوصد أبوابنا دوننا.. ثم نكمل الرحلة نتلصصُ علينا.

إنما أنت نبتة؛ فاختر.. أ تكون شجرة ذات ثمار، أو شجرة لا ثمار لها؛ لكنها وارفة الظلال، أو بقلًا ينتشر.. وينمو، ولو لم تبذرْه يدُ زارع، أو نباتاً برياً طفيلياً، إذا ما أفسد لم يكن له دور في الاستصلاح.

• أو من بمسألة بشكل غريب: أن الملائكة في السماء.. وأن من على الأرض آدميٍّ معرض للخطيئة كما أبيه.

• ويوم نتوقف عن اللهث وراء "ما قالوا" و"ما فعلوا" و"ما لم يفعلوا" هم، ويوم نغيّر اتجاه بوصلة سبّابتنا من أقصى الأمام إلى صدورنا محابس زلّاتنا، ومخابئ سرّائنا، ومعازل تقصيرنا وضعفنا.. وحينما نُوقِف الزمان على أعتاب أخطائنا، ونشغل بها أنفسنا عن زلات غيرنا.. حينها فقط، سنعلم أن الستر نعمة وتفضّل من السّتر سبّحانه، وبأن ما يجرّئنا على فضله؛ إن هو إلا حلمه وغفره وإمهاله سبّحانه.. وسندرك حينها، أنه لو كان للذنوب والخطايا روائح، لزكّمتها بها من حولنا، ولجعلناها ينفّضوا عنّا، وينسلخوا من حبّنا انسلاخ النهار من الليل.

• هؤلاء المفرغون من كل شيء، عدا من أرواحهم وإنسانيتهم.. كم يشقّون بالمعاني، وبأبوابهم المشرعة التي تنقل لمن حولهم تفاصيل النور، وتحجّب عنهم رؤية بقاياهم العالقة في شباك الحياة.. يتألّمون أنّ غيرهم لا يرون فيهم إلا ما يمكنهم رؤيته الآن، يعلمون أنهم - يوماً - سيتحلّل طيفُ الضوء المكتسح الأرض تحت أرجلهم، ويتكلّس الظلّ صنماً شاهداً على أن الحياة قد عبرت - يوماً - هيكلهم، وكفّت - دون سابق موعد

- عن المرور.. يومها، سيعلمون وسيوقنون أن الضوء غير كافٍ؛ كي يثبت لهم الحياة، وأن بقايا الطين - وحدها - ما تحدد وجودهم وصفتهم الرسمية في قوانين الأرض كأحياء.

• يتهاوى الجسد إذا ما تهاوت الروح.. ونتساءل: ما بال أطرافنا ثقيلة؟، وما لهذه الأرجل لا تكاد تحملنا، وما بال الأوجاع تهجم علينا لا نعلم لها سببًا، وما هذا الوحش الجاثم على القلب وعلى الأنفاس؟ إنها الروح الفارغة من نَسائم الأذكار، ومن عبق الاستغفار، ومن معاني التوكل على الوكيل المجير سبحانه.

• الآن فقط، أعلم لم يَعادينا النوم حيننا نمرض أو نتألم.. ليدكرنا أن الألم هو الحقيقة الأبدية، وبأن النوم هروب.. حرية. وبأن رهينَ الحياة لا يحتاج إلى من يذكره بأنه مازال على قيد الوجود.. حملة سهادٍ تقفي بالمراد.

• ما أجمل النوم بعد وجع طويل! لا تضطر إلى أن تحاييه كي يعودك ولا إلى أن تستبقيه.. يحولك إلى لوحة سيريالية، ويقعد على مقربة منك يتأمل الخطوط المرسومة على تفاصيل وجهك.. يخرقك رويدًا رويدًا.. يسدل رموشك في عنفوان.. يذوي أعصابك، وينتشي بنغم قلبك المتصاعد، وهدير أنفاسك.. ثم ما يلبث أن يحملك إلى عوالم تنسيك - ولو للحظات - ذاكرتك الموشومة بالأدواء.

- داؤوا أحزانكم وإحباطاتكم بجرعات لامبالاة.. كثرة النَّبَش تهيِّج الثَّعابين.
- أكثر القرارات خطأ، تلك التي نتخذها في حالة انفعال.. تنتهي شحنة ردِّ الفعل، ونبقى رهائن تسرعنا.
- خذ النصيحة، واستفد من تذكيره لك بالله، ولا تحكم عليه باصطفاء ولا بولاية؛ فإنما هو حلم الحليم، وستر السَّيِّئ سبحانه، يجزِّي على التحديث عنه، والتذكير به تعالى.
- ليس كُلُّ من تكلم قد فهم، وليس كُلُّ من فهم قد صدق، وليس كُلُّ من ادَّعى قد طبَّق.
- (ولا يجر منكم شئنا قوم على ألا تعدلوا.. اعديلوا هو أقرب للتَّقوى) وجزء من كلام الظلمة الجائرين حق.. نحن - فعلاً - بتصرفاتنا وأخلاقنا، قد نسيء للدين من غير قصد، ونُنْفِر خلقَ الله من دين الله.. عدِّل سلوكك، وكُن بهم رحيماً، واحمد الله على العافية ونعمة الهداية، وخصَّص جزءاً من دعائك لمن ضلَّ عن ربه وحاد.
- كل كلمة، وكل حركة، وكل ردة فعل؛ إنما هي وسائلك لإثبات هويتك ووجودك، ومن تكون. ولكي تحافظ على شخصيتك؛ فلا تتسرع في الحكم قبل التحليل، ولا في الرد قبل الفهم والتدقيق.. إنما التسرعُ دلالةٌ على هوةٍ سحيقة

بينك وبين استيعاب شخصيتك قبل استيعابك لما حولك..
واسأل الله السداد والتوفيق، وألا يكلِّك في رؤيتك للأشياء
إلى نفسك طرفة عين، وتضرّع إليه أن يريك الحق حقًا،
ويرزقك اتباعه، وأن يريك الباطل باطلًا، وأن يرزقك
اجتنابه.

● احذر رقيق القلب، شفيف الروح، مرهف الإحساس؛ إذا
ما قسا.. فإن الفيض في لحظة يلغي الرهف، ويسلم للعتو
وللقساوة مقاليد السطوة.

● الأمان الذي يحتاجونه منك، أنت أكثر حاجة منهم إليه..
لست تلقاه.. ومع ذلك، عليك أن تمنحهم إياه.

● إنسان إنسان.. بتفاصيل الإنسان، وفيض الرحمات، وقلب
من جوهر، ومسك، وعنبر.. وإنسان نحتُ إنسان.. بتفاصيل
صلصال، وقلب من طين لازب.. ومسمى إنسان.. قد خانه
صدره فابتلع القلب.. وصار الخواء يزجر في صدره.

● كتب أحدهم رسالةً طويلةً جدًا لصديقه، وختمها بقوله:
"أعتذر عن الإطالة يا صديقي، لكنني لم أستطع الاختصار.."
هكذا نحن في الكثير من المواقف.. يسعنا العسيرُ بكل
عسره، ولا نستطيع اليسير.. تحصد أرواحنا كوماتٍ شوكٍ،
وتعجز عن قطف وردة.. وتمتد أعيننا للسراب ويُعجزها

تأمل المروج.. ليس رضا ولا قبولاً بالمتاح؛ إنما لعجزِ دفين
متشعبٍ يقف للاستطاعة بالمرصاد.

- لم يلومون غريقاً تعلق بقشة؟ لأنه أراد التثبيت بالحياة؟
- مرهقٌ ألا نعلم ما نريد.. والأكثر إرهاقاً أن نعلم تفاصيل ما نريده.. وأن نمضي عمرنا نلاحق الأمنيات المعلقة كما الثريا في سقف التطلعات السامق.
- إذا كنت قربَ محروم؛ فلا تعرض بضاعتك أمامه.. لا تدري، فلربما أحزنت قلبه الذي يجاهده كي لا يلتفت لما في يد الناس، ولربما أوغرت صدره غيرَةً، ولربما كنت سبباً في تسخطه من الأقدار.. وفي عدم رضاه عن ربه.
- وما رأيته إذ رأيته.. ولكن رأيت ستر الله عليه.
- أن يساكنك المرض.. يعني أن تسكنك الحكمة.. تلك التي تهديك إلى أن تعتقد في تفاهة كل شيء حولك.. وفي عبثية الحياة.

- و تنتفس الصعداء، ولا نفهم.. لم هذا الإحساس المفاجئ بالارتياح.. نبحث ونبحث عن السبب، فإذا بنا تحررنا - فعلاً - من عبء مسؤوليات كُنَّا نظن أننا قادرون على إرغام أنفسنا على تحملها، فإذا بالإحساس بالحمل الثقيل جاثمٌ على الأنفاس يكبلنا، ولو أنه ما زال مجرد مشروعات قادمة لم

نباشرها بعد.. تضيق شعاب التنفس.. تسهر العين.. تتبعثر
الخطى في إلحاح مستمر أن ننفذها ونعتقها مما لا طاقة لها به..
نحاول أن نرتب أوراقنا، وأن نقدر في أذهاننا المآلات، وأن
نضع طاقاتنا موضعها، لكن سرعان ما نُغمض أعيننا عن
كل شيء، ونمضي.. فيأتي لطف اللطيف - سبحانه - بأمر
خارجي يمسح عن أعيننا الضباب، ويواجهنا مع المرأة،
ويُنزل قدرتنا منزلها.. فيكون منّا الارتياح، وشكر اللطيف
على لطفه.

● بعض الناس قد أفسدوا عليك دنياك، فاحذر أن يضيعوا
عليك آخرتك.

● حتى مسلمّاتنا أصبحت كما الماء الأسن، تتغير بطول المكث.

● ونحدث.. لا نخجل من شيء.. ولا يوقفنا شيء.. ويقفز الأنا
متبخرًا!! ألم يجد من يسأله: "ومن تكون أنت؟"

● قال: "القلوب الطيبة جواهر.. بين أكوام الحجارة."
فاغرورقت عيناى بالدموع.. لا أدري.. أعلى تلك الإقامة
الجبرية للجواهر بين أكوام الحجارة، أم خوفًا من أن تحنّ
الجواهر - يومًا - إلى أصلها، فترجع طوبًا وصخورًا.

● أحيانًا، يكون الدفاع عن شيء ليس بدافع المبدأ، أو
لاستحقاق ذاك الشيء الدفاع عنه في حد ذاته، وإنما يكون

إما دفاعاً عن حقنا فيه، أو لأنه يوافق هواننا، أو لأن عدم الدفاع عنه؛ يهدد مصالحنا، ويكشفنا على حقيقتنا.

● لست شيطاناً مريداً.. ولكنك لست ملائكاً.

● تنسيني عفويتي أن رأيي قد يخالف مخاطبي، وتنسيني تلقائي أني قد يستفزه ردّي من غير قصد مني، وقد يجعله يأخذ مني موقفاً في وقت كنت لا أفعل أكثر من التعبير عما خالطني ساعة الكتابة.. فلتشفع لي عندك.. سلاماً نيتي، وحسن طويّتي.. ما دمت لم أتقصّد إيذاءك.

● لست مضطراً لأن أبرر لك، فإن أنا فعلتُ فأنت بالخيار، إما أن تعذرني رحمة بي وبك، فإن أنا أصبت فيما ذهبت إليه؛ فقد كفيتك مؤنة السؤال، وكفيتني مؤنة الإقناع، وإن كنتُ مخطئاً فيما فعلتُ، فلي ربُّ يسترني، ويعفو عني، ويجبر كسري، شكوراً يعطي على القليل الكثير، ويغدق بنعمائه على قدر نيتي واجتهادي.. وإما ألا تعذرني، فلي أجرُ اجتهادي.. وإن لم أصب، ولك الوزر إذ أسأت الظن بي.. وإن أردتَ كثيرَ إنصافٍ؛ فاحكم على الأفعال، وخلّ بيني وبين ربي، ودع النياتِ لرب السرائر.

● نحن نتقن ممارسة التهويل مما يخيفنا، ومن فرحتنا قد نبالغ في التشويق.

• ونتوسط حتى نميل عن الخط المستقيم، ونترخص حتى لا نبقي في ديننا عزيمة، ونمضي أيامنا في التسويف والتبرير والركون للرجاء دون الخوف.. ونمضي في دروب الحياة غافلين.. وكأننا أَوْرِثْنَا مفاتيح الجنان، وقيل لنا لا تثريب عليكم، اعملوا ما شئتم قد غفر الله لكم ما تقدم من ذنبكم وما تأخر!

• رَبِّ ذَنْبٍ وَقَعَ فِيهِ غَيْرُكَ؛ حَثَّكَ عَلَى أَلَّا تَظُنَّ بِنَفْسِكَ خَيْرًا، وَأَنْ تَبْتَغِيَ عَنِ التَّعَالَى وَالْعُجْبِ وَالْغُرُورِ، وَجَعَلَكَ تَوْقِنَ أَنَّكَ مَهْمَا بَلَغْتَ مِنْ مَرَاتِبِ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى؛ إِنْسَانًا. وَإِنْ أَرَدْتَ مُحَاكَاةَ الْمَلَائِكَةِ، وَالسَّيْرِ فِي دُرُوبِ النُّورِ؛ فَطَبْعُكَ الْآدَمِي غَلَابٌ.. وَأَنْ تَسْتَشْعِرَ لَطْفَ اللَّهِ بِكَ إِذْ وَقَاكَ نَفْسُكَ الْأَمَارَةَ، وَأَلَّا تَأْمَنَ مَكْرَهُ سَبْحَانَهُ.

• قَلِمًا نَنْتَبِهَ إِلَى أَنَّ رَدُودَ أَفْعَالِنَا - وَلَوْ أَنَّهَا مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنْ تَحْكُمَ وَتَضْبِطَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - هِيَ وَلِيدَةُ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْمُثِيرِ وَالِاسْتِجَابَةِ، وَالتِّي تُشَكِّلُهَا - عَادَةً - الْإِرَادَةُ وَالضَّمِيرُ وَغَيْرُهُمَا، وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْاسْتِجَابَةُ عِنْدَ الْبَعْضِ - فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ - حِيلَةً دِفَاعِيَّةً مِنْ قَبِيلِ الْإِسْقَاطِ، فَيَنْسَبُ مَا بِهِ مِنْ عَيُوبٍ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ، أَوْ الْإِضْفَاءُ، وَذَلِكَ بِنِسْبَةِ بَعْضِ مَنْ مَشَاعِرُهُ السَّلْبِيَّةُ إِلَى الْآخِرِ تَخْفِيفًا مِنْ وَخْزَةِ الضَّمِيرِ،

وشعوره بالإثم، ولوم الذات؛ لذلك تراه يُمضي جَلَّ وقته في التجريح، وإسقاط من حوله من هذا المنطلق..
وتبقى بشريتنا فينا مستحكمة مهما رُمنا معانقة الملائكية والنور.

- أن يضيق صدرنا بغيرنا، ونحاول إلزامه بأرائنا من غير تفهم لوجهة نظره؛ يعني أننا لا نرى في الحياة غيرنا.
- وينسينا الركض أننا لسنا على عجل، ويعلمنا الصمت أن الفراغ وجل، وننسنا على عجلة الحياة، ويوهمنا الخفوت أن السكينة والسكون.. دجل.. دجل.. دجل.
- ويقدر ما نريد أن نكون قدوة لأبنائنا، ونجهد أنفسنا من أجل تحسين صورتنا أمامهم، وإهدائهم رشاحة تجاربنا على طبق من ذهب، بقدر ما نخشى عليهم من اتخاذنا قدوة في كل شيء، حتى في حلولنا الاضطرارية لمواجهة معارك الحياة.
- هم - أيضًا - بشر، ويخطئون كما نخطئ نحن.. والقلم الذي لم يرفع عنهم، غير مرفوع عنا نحن أيضًا.
- من أول لحظة يُرفع فيها عنا القلم بعد موتتنا الصغرى؛ تبدأ رحلتنا الشاقة مع المكابدة والمجاهدة.. نحن ابتلاء وفتنة بعضنا البعض، فلا نكن للشيطان عونًا على أنفسنا، وعلى إخواننا.. ولا نُعسر على بعضنا الامتحان.. (اللهم عالم

الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد ألا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم). وكلما زعمنا أننا قد تعلمنا من تجارب الحياة، وأنها قد صارت لدينا الحنكة الكافية لتفادي كمائناتها؛ جاءتنا بأحداث جديدة تثبت لنا أننا ما زلنا نحبو فيها.. تعاملنا كما الرُّضْع، وكلما رأَت قَلْقاً وتحسباً لما ترميه من امتحانات في طريقنا؛ ربتت على أكتافنا، وطمأنتنا بما يجعلنا نثق فيها، وأحكمت اختبارها، وتلذذت - وهي ترانا فرائس سائغة في أُحْبُولَاتِهَا التي لا تنتهي.

- أصعب تلك المواقف التي نمُرُّ بها.. تصرفٌ بريء نخطئ فيه التقدير بعفوية، فيحسب علينا خطأً وجرماً لا يغتفر.
- أراد أن يُدخل الفيل سمَّ إبرة؛ فكسر الإبرة، وألَّب عليه الفيل.

● إنما فطرنا على أن يتجاذبنا تارة ما نستمد منه النور، وتارة ما يهوي بنا للطين.. ولو أننا استفقنا يوماً فوجدنا كلَّ هَمٍّ شُكراً وذكرًا وحسن عبادَةٍ وتشوقاً لرضا الله، دون أن يعكر علينا الشيطان والأَمارة بالسوء صفاءنا ونورانيتنا؛ لكان حفيٌّ بنا أن تصافحنا الملائكة في الطرقات، أو أن تُرفع معهم

• للعبادة.. إنما نحن إنسان، نسدد ونقارب، وكل رجائنا في
الحليم الكريم الغفار الجبار أن يوتينا من بحار كرمه، وأن
يغفر زلّاتنا، وأن يجبر ضعفنا وكسرنا.
أما إني لم أكن في صلاة، ولكِنِّي⁽¹⁾.. *

عبارة ردّها من عاش بين من عرفوا بكثرة صيام وطول
قيام..

عبارة ردّها لينفي عن نفسه حب الشهرة والتّسميع للأنام..
وغيره منّا إذا ما وُفق - يومًا - إلى الاستيقاظ قبل أذان
الفجر - قدر ركعتين بعد طول غفلة ومنام - يصلي فيهما من
السور بالقصار، خشية أن يباغته الأذان قبل السلام.. يقصر
ركوعهما.. وينقر سجودهما، ويفوق التّأوّب فيهما عدد
الأذكار.. حتى إذا ما أسفر الصّبح، بثّ إلى كلّ من حوله
خبره، وأقسم ألا يذره حتى يذكر عُجْرَه وبُجْرَه⁽²⁾. فنمّق
الحديث عن القيام.. وذكر اطمئنان قلبه هذا اليوم مقارنة مع

- (1) روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنْتُ
عند سعيد بن جبْرِ فقال: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ:
أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي لِدُعْتٍ، قَالَ: فَهَذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ:
اسْتَرَقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثُ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ.. (الحديث)
- (2) ذَكَرَ عُجْرَهُ وَبُجْرَهُ: عيوبه وأمره كلّهُ، ما أخفى منه وما أبدى، وفي حديث علي:
إلى الله أشكو عُجْرِي وَبُجْرِي، وجاءَ بِالْعُجْرِ وَالْبُجْرِ: بكذبٍ أو أمرٍ عظيمٍ

بأقي الأيام.. وذكر الخشوع، وسجوده الذي زينته الدموع،
وطول أذكاره في الركوع.

ألا يا صاح، أفق.. ألا إنك لم تكن في صلاة..
ولكن..

• هو ذنبك وضعفك وهوى نفسك أنت، إن استحللته
واخترته، واستمررت نفسك اقترافه، وأبيت إلا المجاهرة به.. فاحترم
اختياري، ولا تدعني - فضلاً - إليه..

• قالت: أهو تعال على المذنبين المقصرين، حينما سألتهم ألا
يدعونك للمعصية؟ هل يعني أنك لا تسقطين - مثلهم - في
الذنب؟

فقلت: ومن منا غير المذنب المقصر؟! لكن الستير - سبحانه
- يسترنا بفضل.. بل هو الخوف من الهوى، ومن النفس
المجبولة على الضعف أن تستلذ ما استلذوه، وأن تشبع بما
تشبعوا به؛ فأسقط في حباتها وشررها.

• غريب أنت أيها الإنسان، تثور على العدم، وتتعلق
بالمستحيلات، وتمسك بالجنون، ويأسرك المجهول، وتريد
أن تجعل الحقيقة وليدة وهم.

• "اتق الله" عبارة قد تُربك مخاطبك.. قد تحرجه.. قد تجعله يرد
- تلقائياً - ومن غير تفكير: (وماذا رأييتني أفعل؟!) ربما هي

نفس ردّة فعلك.. لو باغتك أحدهم بنفس القول.. في قرارة نفسك تعلم أن معاني التقوى أوسع وأشمل وأعمق من أن نتلبّس بها كما هو مطلوب منا.. ربما لأننا نعلم أننا غرقى في التقصير، ولكننا نداري.. حتى إذا ما فاجأتنا العبارة صفعتنا لوهلة، وكشفتنا أمام أنفسنا، واستفزّتنا لنخفف علينا من بنات الشفة لنواري عورنا وكسرنا وعرجنا، واضطّرّتنا إثرها إلى إعادة حساباتنا، وترتيب أوراقنا، وتفتيشنا عن بصمة الخطو على نقطة انطلاق الخط الممتد الطويل.

● متقاذفون نحن بين زخات النور وخزف الطين، فتارة تتوق أرواحنا إلى السمو وإلى الملائكية، وتارة تجذبنا برك الطين إلى الدون والهوان.. وبين سقطة وتسام، حكايات مدافعة، ومسارعة، وتجريد.

● أفضل ما يجعلك هادئاً منتشياً بحياتك، صدقك مع نفسك وتناغمك معها.. تعلم مواطن قوتك، ومكامن ضعفك وهنّاتك.. وتحسن أن تلوح لعينيك في المرآة.

● وتصرخ الروح أحياناً.. تسأل جرعة حياة.

● لا تلو موثرثرة بات تثبت للروح أنها مازالت تستجدي الحياة.

● بعض الشيفيين الصادقين في ألمهم، وفي فرحهم، وفي حبههم، وفي نقائهم.. حتى المعاني الصادقة تحدشهم؛ لذلك يتركون

أرواحهم نائمة في مَبْعَدٍ عما يؤلمها.. يوجعها الكذب والزيف
والخذلان، لكن ليس أقل مما يؤثر فيها الصدق والوفاء
والنقاء.. دعوا أرواحهم نائمة، ومارسوا بَوْحكم في خلايا
الذاكرة.. لا توقظوها بضربة حرفٍ فتستفيق مترنحة.. ثمة
كلمات صادقة حدّ الوجع، فاحجبوها عن الصادقين.

• وليس جفاف الروح إلا بجفاف الأرواح حولها.. يتسرب
إليها عُواء الرياح، ويُمْنَع عنها القطر؛ فتصير هشيًا يتقاذفه
الأثير.

• سلامي إليك من خرم الأنفاس أيتها الروح، حينما الروح من
فرط شهيقتها تتحوّر.. سلامي إليك حينما تقبلين، وحينما تدبرين،
وحينما ترغبين، وحينما تأنّفين.. سلام عليها إذا ما جاعت
وباتت من وجعها تتضور.

• نسميها ضيقًا، ونسميها مللاً، ونسميها فراغًا روحيًا،
ونسميها غربة ذواتنا عنا.. وما هي إلا وحشة لا يزيلها
سوى قربه، والأنس به، وصدق محبته.. سبحانه.

• نظرت إلى الأرواح حولي؛ فوجدتها ثلاث:
- روح عذبة شفافة نقية، كمرآة مجلية، تكاد ترى صدقها
كالشمس بواضحة النهار، جرت عذوبتها على اللسان، وعلى
الجوارح كالماء الزلال..

- وروح ضائعة بين المداھنة، تداھن تارة نفسها.. وتارة غيرها؛
فتحرق نفسها بنفسها..

- وروح متفلتة تائهة يعجزك الإمساك بها كقطعة صابون في يد
مبللة..

(وتبقى الروح من أمر ربّي، لا يعلم سرّها إلا هو سبحانه)

• كم يلزمنا من الوقت كي نعيد ترتيب تلك الفوضى التي في
أعماقنا؟

• ضجة الروح من حاجتها للرواء.. وهل أفضل من القرآن
لها رواء؟!

• إذا ما تعثرت يوماً بنفسك وأنت تتقاذفك أمواج الحياة،
والتقيت بها صدفة، حيث لم تكن تتصور لقيها، فاحرص
على أن تصالحها.. أن تضمها إليك.. أن تعانقها.. أن تعتذر
لها.. واحذر أن تضيعها مرة أخرى بين دروب الحياة وأزقتها،
فلعلك لن تصادفها - بعد ذلك - مرة أخرى، ولعلك تلقى
الله قبل أن تلقاها.

• صَجَّكَ وأنت تبحث عن نفسك فلا تجدها؛ تُربك من
حولك.. ابحث عن نفسك.. لكن في صمت.

• أحياناً ونحن نبحت عنّا عندهم؛ نتعثر بنا.. نجدنا نحن..
نحن في ذواتنا، وليس بهم أو عندهم.. ننفض أعماقنا منهم..

وطيفهم الذي كنا نحتويه حتى ما ترك في جُنبنا لأرواحنا منّا
مكائناً نظرده.. نشرده.. نخلينا منه.. لتستمر اللعبة، فنصادف
- حيث ظننا ألا ملجأ لنا عندهم - من يكمل النصف الفارغ
منهم.. من لا يُجوجوك للبحث عنك فيهم، فهم أنت.. وأنت
هم، فيجعلون التكامل انصهاراً، والتوافق تطابقاً، ويغنوك عن
الرحلة المضنية؛ لإثبات أينك.. ومن تكون.

• شيء جميل أن تنظر إلى المرأة؛ فترى بداية تشكّل قسَمَاتِ ذلك الوجه
الذي تريده.. ذلك الوجه الذي كنت تريده منذ سنوات فأبى إلا
أن يقطع المسافات، ويحترق الخواء ولحظات الفراغ المريعة، ولا
يقبل أن يتشكّل إلا من عبق الكسور، وشذى الجراح، وقصاصات
الأمنيات.. أن تتموج المرأة أمامك.. تتلون.. تتكسر.. لكن في كل
قسم منها ترى جزءاً من وجهك، ومعه عجلة من عجالات القطار
أو طرفاً من السكة، أو جانباً من رصيف المحطة. شيء جميل أن
تنظر إليك في دهشة.. ولسانك يلهج بعبارات الحمد أن التقيت
- أخيراً - بذلك الذي كان لا يشبهك، فصار - الآن - يحتفظ
بملاحك ويهينك لأن تتوحد.. والمرأة.

• أصخ إلى صوت الفطرة في أعماقك.. سيخبرك أن جذوة
النور فيك لم تنطفئ، وأن جداول الاستقامة فيك تمدّها من
بعدها بحار نقاء غيّبك عنها خصامك الدائم مع نفسك.

وجع.. بنكهة الخذلان

أتموت في عز العطا أيا منا
قد تاهت الأحلام والأشجان
القلب ينعي كل يوم وردتي
واستعمرت أرجوحتي الأكفان
قد كنت يوماً في فمي أنشودتي
فعلام تثل في دمي الأوزان
قد صرتُ طيفاً في يدي تلويحي
وتفياث من مهجتي الأحزان

- لكل ألم نكهة.. أمرها الخذلان.
- يقتلون الروح ويدأرون فيها، وينسون أن الله مخرج ما يكتمون.
- أكبر جرم يرتكبه من حولك في حقك، أن يحاكموك بسبب أقدارك.
- أكثر الصراعات استنزافاً لك، تلك التي تنازل فيها نفسك كي لا تضطر للقبول بالرضوخ؛ ليغوث ويعوق ونسر مجتمع

لا تملك إزاءه سوى الشجب والتنديد بصوتك المبحوح..
حتى إذا ما أنهيت آخر كلمة من شعاراتك المثالية، وجدت
محاکمتك قد تمت غيابياً وقت الشجب والهتاف.

● يظلمون ويخادعون، ويتفننون في صنع المكائد، ويدعون في
انتزاع حقك انتزاعاً.. ويحرصون على أن يكون ما يخططون
له من شر في أعلى القائمة..

يحددون صباحاتنا ومساءتنا، وينقذونها من الملل والرتابة،
فيباغتونا دوماً بالجديد..

جديدهم ينسبك القديم، ويجعلك دائم الشوف إلى ما
ستحمله لك خستهم، ويعلمونك أن تكون دائم الاستعداد
والأهبة؛ لاستقبال نكدهم بالاستغفار والاحتساب
والالتجاء إلى الوكيل الحسيب المنتقم الرقيب المطلع على
الخبايا وما تخفي الصدور.. وربّ نعمة في طيها نعمة.

● وبعض من تلقىهم الحياة في طريقنا؛ غصة لا يسيغها ماء، ولا
يزيلها دواء..

لعلها لن تبرحنا إلا بخروج الروح.

● وكلما لاقيت إساءة جديدة منهم، قلت: وماذا بقي من
نذالتهم؟ لعلها أقصى ما يمكنهم فعله، ولعلها الأخيرة..
فإذا بهم يفاجئونك بشكل جديد، ونوع لم تتشرف - من قبل
- بالاندھاش بسببه.. مخزونهم لا ينتهي.

• ولكم تلجئك دروب الحياة السقيمة إلى أن تتعامل مع أناس تضطر إلى أن تعتبرهم موتى إذا ما فضلوا الغياب عن المشهد، حمقى إذا ما أصرّوا على الظهور.

• قالت: لا شيء يجبر القلب المكلوم.. فقلت لها: عرضيه للخيبات المتكررة.. فبعض الهمّ الجديد تطعيم ضد الألم، وضادٌ يُسعف ما سلفه من أوجاع.. ولكي لا تُصدمي؛ اعتادي - منذ اليوم - على ترقب الخذلان.

• أكثر ما يقتل الإبداع والتجديد، ألا تجد أرضية مناسبة لإبرازه، وأن تجد عوضًا عن ذلك من أخذ على نفسه عهدًا بإحباطك، وبأن يمارس العمى كي لا يرى ما تبذله من جهد.

• هل يفترض أن يحبك كل من حولك؟

وهل يفترض أن يكون دائمًا السبب منك إن لم يحبوك أو يقدروك ويحترموك؟ بعض من تصادفهم في الحياة يُكنّون لك العداء، ويؤلّبون عليك من حولك، وينفخون من نيران حسدهم وغيرتهم وما حوته جوانحهم من حقد وغل وكسور، فيحترقون بنارهم قبل أن تصيبك أنت.

• من الأدعياء من يحبك على حرف، عينٌ على ما يستفيده من علاقته بك من مزايا، وعينٌ على سهوٍ منك بطبعك البشري يعطي نفسه به أحقية إسقاطك، وصبّ أنواع السخط والطعنات واللعنات

على شخصك المتجاوز لعثرة أو زلة، أو حتى لما لم يكلف نفسه التأكد من خطئه قبل تخطئك.. فإن أنت دافعت عن نفسك بما يُفحّمه، اكتفى بها كان بينكما من تلاوم، وترك ما وزّعه حين ثورته وطفرة غضبه على من حولك وحوله رائجاً دون تصحيح. ربما يحزنك الاضطرار إلى معاشرة من يصّر على إحباطك أكثر من حزنك على إحباطك منه في حد ذاته.. ولربما يكون الذي يحزنك أكثر اختيارك - اضطراراً - اتخاذ القرار، ودفع مهر اختيارك.

لا شيء أثقل على القلب وأكثر تحسيساً بالحيبة، من أن تكون واثقاً مما تفعل، ذكياً بالدرجة التي تجعلك تعلم متى تُقدم.. ومتى تحجم، عارفاً دورك، وما تنتظره منك الحياة، تقرأ العيون، وتتقن الإصاخة للصمت، مبدعاً، تلون البهجة بالحياة.. فتضطر إلى أن تعاشر من لا يريد أن يراك، أو من يتقن أن يصنع منك ندياً للإحباط، ويتفنن في أن يجعلك هامشاً، أو حدثاً خارج فصول الرواية.

كثرة الخناجر تُعلّم الغدر.

ستنضج.. بحجم خيالك.

ربما ما ينهكك، أنهم لا يعبأون بالجانب الصعب فيك الذي لهم قد لان.

- وأعتى الألم أن تفتش فيك عن ذلك الطفل النائم في أعماقك.. فتكتشف أنه قد شاخ دون أن تدري.
- أحياناً، تنظر إلى كم الأمنيات المعطلة الراكدة منذ سنوات؛ فتهمس لنفسك في حسرة: "كم تأخرتُ!".
- أجمل ما في الذكريات الأليمة أنها أليمة، كلما تذكرتها سارعت لأن تتحاشى الغرق في تفاصيل الوجد فيها.. وانتشيت أنها لم تكن جميلة تستدعي ألم الحنين.. هنيئاً لنا بأناس علمونا ألا نحزن، وألا نشاق، وألا يزورنا طيفهم إلا عابساً مكفهراً، يستحق الطرد بمكنسة الساحرة الشريرة.
- بعض الأمنيات وقتها حين القطاف، فإذا ما جفَّ الثمر على عودها، ما يجديك سوى أن تسقي طيفها ملح المدامع.. ثم تكفكف وجتتيك، وتتابع غيضاها في رسم النسيان.
- قالت: يكفي أنك على الطريق لتحقيق الأمنيات، فلا تلتفتي متى كان البدء.. فقلت: عيْنُ على الآتي، وعيْنُ على ما مضى.. وضربة البداية لا تمتنع عن تذكيري بأنني - فعلاً - تأخرت.
- ليس وحده الغيم من يتفنن في إزعاج شمس الربيع وتعكير صفو السماء، والتشويش على الأرواح؛ كي لا تستمتع بالهدوء والدفع، هناك أيضاً أشخاص مهمتهم فعل ذلك.. وهم لا يألون جهداً للنجاح في مهمتهم.

• لا شأن لهم باختيارك.. لكنهم رغم ذلك ينشئون محاكمهم، ويدونون دساتيرهم.. ولا يتوانون في نصب مقاصلهم ومشائخهم.

• سُئل سائق شاحنة عجوزٌ قضى عمره بين الطرقات وتعب السياقة ومخاطر الأسفار؛ عن سبب سلامته طيلة هاته المدة من الحوادث، فكان جوابه مذهلاً:

- "كنت - وما زلت - أعتبر السائقين حولي ممن يشاركونني استعمال الطريق، كلهم حمقى أو سكارى، وأنا الوحيد الصالحى السليم عقلياً..."

ليتنا نستطيع تطبيق هذه القاعدة مع كل من يشاركوننا عبور الحياة.. أو على الأقل مع أولئك الذين لا يفتأون يكذبون صفو حياتنا، وينكهون سويعاتها بالمرارة.

• بعض الرسائل تصل أسرع مما نتصور.. أسرع مما لو بعثت على الحقيقة، ومما لو تكلف صاحبها بياناً وتوضيحاً.. يكفيننا - أحياناً - قليلٌ إصاحبةٍ إلى حدسنا، وقليلٌ ثقةٍ في فراستنا؛ لنفهم أن "نعم" تعني "لا" قولاً واحداً.. وبأن مرحباً تعني "سحقاً وبعداً"، وبأن خلف الابتسامة شزراً وزجراً، ووجهها عبوساً قمطيراً.

• بعض الأشياء لا يعييك فهمها بقدر ما يعييك محاولة عدم فهمها.

- بعض الأسى يتحایل عليك؛ كي تندم على أن كنت جميلاً..
- لا تلم نفسك على جمالها، لُمها على مثاليتها المفرطة.. إن بقيت غارقة فيها.
- ما لم تُعلِّمه لي أُمي: أن بعض من يتسمون في وجهك، ويعبسون في حضورك للآخرين؛ يسمون - أيضاً - لهم في حضورهم، ويعبسون لك في غيابك.. ويا ليت الأمر توقف عند العبوس.
- تقرر فجأة ألا تحاكم الماضي.. فيأبى هو إلا أن يفعل.
- وقد نخفق في الإصلاح؛ لأننا أسأنا اختيار الوسائل.. وقد نخفق؛ لأنه لم يعد هناك ما يمكن إصلاحه.
- أحكامنا الجاهزة تُفقدنا في كل الأحوال من حولنا، وتُنقص رصيدنا في مزيد أحباب: نظرة دونية أو أخرى تصنيفية ترمي بها الناس في هوة القَوْلبة والتنميط، أو رفع لسقف توقعاتك فيمن حولك لتُصدم أنهم دون ما كنت تتصور، وأبعد بكثير عما أوحى لك لمحتك الخاطفة السطحية.. عدّل إبرة الميزان وقبّلها عدّل نظارتك.
- مأساتك الحقيقية عمقك وشفافيتك، واضطرابك أن تتعامل مع السطحيين.
- وجع، أن نضطر إلى أن نلزم أنفسنا بعدم الاندهاش.. أن تتساوى عندنا ردود الأفعال، وأن نصبح مجرّدين من الدهول

ومن الانبهار.. أن يصبح كل ما يقع حولنا من المتوقع، وأن يصير من كانوا سبباً في دهشنا؛ دهشة جميلة تحملنا إلى عهد الصفاء والنقاء، وتسبّر بنا أغوار المعاني، وتعبر بنا مراقي الكمال، فنتشي أن ظفرنا بهم، وأن كنا لهم من الأتباع، أن يصيروا مفرغين من أسباب انبهارنا، محملين، وفقط.. محملين بأسباب خيبتنا.. وجع، ألا تعدو معاني الدهشة عندنا؛ أن تكون حيرة وخيبة وارتباكاً.

• وأعتى الجروح، تلك التي كلما ظننت أنها اندملت أبت إلا أن تنخر من الأعماق.. وأعتى الآلام تلك التي لا تستطيع البوح بها لأحد.. حتى لنفسك.

• موجه: أن يراها تبكي؛ فيضحك.. والأكثر وجعاً: ألا تراه ضاحكاً؛ إلا إذا رآها تبكي.

• أراد أن يكتب شعراً؛ فاختر بحر الطويل.. خانتها القافية.. كتبها على البسيط؛ فكسر الوزن.. كتبها شعراً حرّاً.. أحسّت حروفه بالحرية فطارت.. توسّد دفتره، وكسر قلمه، وأغلق الشبايك، ونام.. أصبح يخشى الحرية والقصائد والشبايك المواربة.

• أحياناً، وأنت تقف وقفة تأملية من أجل إعادة ترتيب الأوراق وتصحيح المسار؛ تجد نفسك عاجزاً عن تحديد موقع خطاك، ولا تدري هل حملتك الأحداث خطوتين إلى

الوراء من أجل خطوة حثيثة إلى الأمام، أم أنها زرعتك في نقطة البداية.

- ومع توالي الأيام، وتضافر الأحداث، وتكرار الخيبات، قد نستغني عن أشياء كنا نراها - من قبل - ضرورية، بل جوهراً في اختياراتنا ولا ندرى أهى القناعة أم الزهد.. أم عيف الحياة.
- ومتى كان للشر نهاية؟ ومتى أعلنت أرواحهم الخبيثة إقلاعها عن جرمها، وظلمها، وتجبرها؟ هم لا ينتهون، وأفعالهم سلسلة أحقاد وحروب وتحديات.. وما لنا سوى أن نسأل الله الكافي أن يكفيننا شرورهم بما شاء، وكيف شاء.
- كم هو صعب أن تجد نفسك قد قطعت الأشواط وحرقت المراحل؛ لكنك مضطراً للرجوع إلى نقطة البداية.
- ترانا سنجد أنفسنا مضطرين للإقلاع عن المطالبة بحقوقنا؟! فكل مطالبة هي وسيلة جديدة لكشفهم أماننا، ومزيد إغراق لأنفسهم في النذالة، والخبث، والمكر، وفيما يغضب الله.
- كم نشقى ونحن نريد تفكيك ما لا يتجزأ، وكشف ما حاله التخفي.. نجهد أنفسنا ونجهدنا فقط.
- بعض الاعتذار.. إغراق في المثالية.
- غرُسها ليس كما غرس غيرها.. حتى النبات لم يسلم من حنانها.. تسقيه بحب وترعاه بحب، وتنتظر - بشوق -

الطلع، لكن كلما تشوّف زرْعُها للسماء، وسمّقت وريقاتها
تستكشف ما حولها؛ التهمتها العصافير.. تتقاذفها الحيرة،
ويلجمها التردد: أُنْجَم عن الغرس، وتكتفي بورود من
لدائنَ تزين بها كل المكان؟ أم أن تغرس وتستمتع بالزرع،
وتدع الطلع لكل عابر؟

• ما لم أتعلّمه في المدرسة: أن الأحلام والأوهام تلتقي في نقطة
اشتباك القائم الأفقي بنظيره العمودي في زاوية قائمة على
الخواطر.. وأنا التي كنت أظنها جولة، فإذا بها ربع دورة،
وزاوية قوس.

• سألتني: كيف حالك؟ فقلت: حال من شيّد قصورًا من
رمل، وأبراجًا من ثلج، وقعد ينتظر العاصفة، أو قطرة
شمس لتسف ما شيّد كي يعيد البناء.. و ينتظر مرة أخرى
عاصفة وشمسًا.

• الغموض: سحابة خريف رمادية، لا هي بالحُبْل فتنبج
غيثًا، ولا بالشفافة؛ فتكشف الأشعة المحبوسة وراء حجبها
الملتفة السميكة. الغموض: حلقة مفقودة في سَمَط بهجة
الحياة.

• ويوم صنعوا وروداً من لدائن، كان علينا أن نعلم أن العبق
لن يصبح له ثمن..

- إن تشابكت حروفنا فككناها، وإن تبعثرت رتبناها، وإن أبت إلا التخفي وراء السطور؛ فلنا الله من قبل ومن بعد.
- ويا أيها الخذلان، من أعماق قلبي.. شكرًا بحجم السماء والشمس الغائبة من الفضاء الحاضرة على الدوام هنا حيث أنا في أعماقي.
- لم أكن أحاربك أنت، فما أنت سوى مشروع حياة أبي أن يُنجز على الواقع، إنما كنت أحارب الموت البطيء في انتظار الذي لا يأتي.
- خطؤنا في تقييم بعض الأحداث حولنا قد يكون بسبب مثاليتنا المفرطة في رؤية الأشياء.
- كم من رواية تحتاج أبطالاً، وكم من أبطال يحتاجون رواية.. وكم من أولئك الذين طردهم النص؛ فصاروا عابري حياة.
- ما بين النومة والنومة أضغاث أحلام.
- هي الحقيقة إذًا؛ فاطوها أو مزّقها، أو ارم بها من شباك عمرك.. كنت "وطنًا" للخذلان، وستبقى عنوانًا للخذلان.
- "هو" الوطن و"هي" الوطن، وكلاهما يطلب اللجوء السياسي.
- وراء كل امرأة حزينه رجلٌ يشعل فتائل الأوجاع، ووراء كل رجل كسير امرأةٌ تؤجج الألواع.

- الوجد يخلف أخاه.. كلُّ الفواصل وكل النقط وكل الأوراق الممزقة لم تفلح في وقف النزيف.
- فجأة تقرر أن تكون سعيداً.. تلملم كل قصاصات الوجد؛ كي تمزقها.. تحرقها.. تنثرها وراءك.. تحدّق فيها في محاولة لإلقاء نظرة الوداع على حروفها الموجعة بإتقان.. تحاصرُك الفواصل، وينقض عليك ما وراء السطور.. تحاول الفكّك، لكنك تعلق في شباكها.. ترجئ قرارك.. ليس بعد.. فلتنتظر السعادة، ولينتظر قرارك.. ثمة جراح لا يمكن أن تخيّلها قبل أن تنظف.
- وأكثر الدموع التهاباً وإهاباً، تلك التي تذرفها الشرايين، وينزف بها القلب المتفصّد المترع بالحييات، المثخن بشظايا النفوس المكسورة والألسنة الحداد.
- أيمكن للأوجاع أن تتوقف عند النقطة أو عند الفاصلة أو عند الرجوع للسطر، أو عندما نمزّق كل الصفحة، ونستأنف من جديد؟
- مؤلم، أن ترى يوم العيد دمعة طفل يتيم متكومة في محجّريه.. تحوم عيناه المتعبتان بحثاً فيمن حوله عن الأمان والحنان، فلا يستطعم - في غياب والده - لمسة لأمس، ولا يستلد بكفّ حانية قد أخذت على نفسها تعويضه فراقاً ليس لعقله الصغير

ولا لقلبه البريء أن يفهم منه معاني الأقدار.. وأكثر من ذاك إيلاماً، دموع طفل أبي والده إلا أن يسرق بسمته، وأن يجعل بشاشته وبهجته - بالعيد - تغيض في لجج خذلانه، وتتمرغ في أتربة حقيقته الاستبدادية المنانة: إن أراد - جوداً وكرماً وتفَضُّلاً - أن يلعب دور الأبوة، وأن يحفظ للطفولة معاني البراءة، وللعيد معاني الفرح.. وإلا فلا شيء سيرغمه مادام كلُّ فعله معه مُحضٌ تفضُّلٍ، وتكرم، وخيرية غير ملزمة.

● بعض النكبات تصيِّرُك كبيت شعر مشطور.. كوزنٍ مكسور.. كالإيطاء في القافية.. كسطر مقتطع من رواية.

● ما أكثر ما تُلدغ من جحورهم، وما أكثر ما نعود.. هم لا يُقدِّرون، ونحن نكتوي بنيران خذلانهم.

● فرق بين أن تقابل الأزمات والألم لأول مرة، وبين أن تتكرر عندك نفسُ الرواية ونفس سطور الخيبة والخذلان.. وكأنَّ الألم يهيئنا للآلام، وكأنَّ الجرح يصنع لنا مَصلاً ضد الجراح.. كم في ذلك من الطاف لا يستشعرها إلا من علم أنها سنة الحياة، كبَدٌّ ونَصَب، ودنيا الأكباد المقروحة.

● قاصمة..

أكبر القذائف التي يمكن أن تتلقاها، ليس أن يظنَّ بك خصمُك السوء، فذاك الظن فيه، ولكن أن يصدِّق صديقُك ما ظنه فيك خصمُك.

- موجعةً مفترقات الطرق تلك التي لا تؤدي إلى مملكة الشمس.
- تمدهم باللقمة بيديك، وينثرون القذى في عينيك.. تصبر.. ويتجبرون.. وتُمرر.. ويأبون إلا أن يذگروك.
- تنتهى السذاجة والعته، أن نُمضي ما تبقى من عمرنا في انتظار نقطة تكون كفيلة بتحويل المسار، ومعجزة تحول قلوبهم "المُسفلّة" إلى مروج ورد.. وأن نتوقع من الغرقد والعوسج أن يُثمر لنا تفاحًا.
- بعض الجولات في الحياة نصرُّ على أن نخسرها، ليس لانعدام الحيلة والقوة والبسالة للدفاع عنها.. ولكن فقط؛ لأنها لا تستحق.
- وردٌ قد نبت في بقايا أتربة خطى المارة، وسقته دموع الرابضين فوق إسفلت أرصفة الأوجاع، فحبس شذاه في جذره، واحتفظ لنفسه بطقوس العبير.
- وهل ما يشيخ في أعماقنا يعود طفلاً؟!؟
- وظن أنه البطل والنص وفصول الرواية، فإذا به قصاصة منسية في ثنايا كتاب.
- من لي بعصا موسى، أو بخاتم سليمان.. أو بالذي يأتيك بعرش الحقيقة قبل أن يرتد إليك الطرف.. أو بحجب مكشوفة عنك أيتها النفس المصلوبة على مقصلة الغموض

والتخفي! من لي - فقط - ببردٍ وسلام لنار الحيرة، ولظى التيه، ولهب الارتباك.. رحماك يا الله.

• لن يبقى في قاموس انفعالاتنا شيء اسمه "اندهاش" ولا "استغراب".. بل شارفت الأحداث من حولنا على أن تكون تطعيمًا يكسبنا مقاومةً ضد هذه المعاني.. فهل سنرى أكثر مما رأينا؟! وهل سنسمع أفدح مما سمعنا؟ فكلُّ حدث جديد إنما هو كوجهٍ من وجوه زهر النرد، وجهٌ بنقطة، وآخر بنقطتين، وآخر بست نقط. وفي الأخير، تجتمع كلها لتسمى نردًا.

• وحينما تصبح الأخوة حروفَ ألمٍ منتشرة، وقصاصات مركونة في زوايا دفترٍ أو في شعب الشريان.. مجرد مشاعر ألم وآهات، ورثاء لسقوط مملكة قد شُيّدت يومًا على ضفاف المحبة، فأبى فيها الصدق والوفاء إلا أن يرحل؛ فترحل معه قلوب لم تعد تترقب بدرًا ليلتها الظلماء.

• يتهمون الضمير بالموت، والعقل بالعطل.. هذا لو كان هناك ضمير وعقل أصلا.

• بعض الخيبة تفقدك الثقة فيمن حولك، وبعضها تفقدك الثقة في نفسك، وبعضها شعور بعبور الخواء، وبتخطي حدود الزمان والمكان، وبالاستغراق في اللحظة الآنية مفرغًا من

كل الأحاسيس ومن كل المشاعر سوى من الدهشة المفرغة
من معاني الدهشة.

• من استعجل القِطاف؛ مُنيَ بعقم الشجر.

• قد نفع، ونقع، ونُكَب من نفس الخيبة مرات.. ليس لأننا لم
نستوعب الدرس، ولا لأننا لم نأخذ احتياطاتنا الكافية، بل لأن
ملاساتها قبل أن تكون خيبة، متخفية تمامًا عنا وإن ضربنا لها ألف
حساب، ولا يمكننا التنبؤ بها بحال، ولا نعلم عنها بأنها خيبة
مكرورة إلا بعد وقوعها.. المقدر نافذٌ، وما لنا منه من هروب..
وما منع حذرٌ من قدر.

• بعض الخذلان قد يكون انخداعًا بالله فننخدع، أو قد
نُستغفل، أو قد لا نتحرز بسوء الظن في الناس، أو قد تأتينا
الخيبة متلبسةً بشكل جديد متخفٍّ.

• الأشياء التي تأتيك في هيئة حلم.. تأبى إلا أن تبقى حلماً.
• وجع.. أن تنظر إلى المرأة.. تحديق فيها ملياً، وتبتسم أن
التقيت بك.. تصدق أنك - فعلاً - قد التقيت بك بعد طول
هجرٍ ونوى.. تنتشي باللقاء.. وتمني نفسك بالأحلام.. تنظر
حولك فجأة.. فإذا أنت بلا قناع.. ومركبك بلا شرع..
وكل السراب الذي حولك يذكرك أن تلبس نظارتين قبل أن
تتجرأ وتنظر إليك مرة أخرى.

• وأعتى الآلام أن تعاشرهم، ثم تفارقهم فتدخل وتخرج كما دخلت، دون أن يكلفوا أنفسهم عبء معرفتك.. تدخل مجهولاً، وتقيم مجهولاً، وترحل غائضاً في لجج الإبهام.. كذلك الجندي الذي أبلى بلاءه في معركة، ثم قُتل ليكتب على قبره: "جندي مجهول".

• وحتى الاعتذار يتحفظون عليه، وكأنك مضطر لتجرع حماقاتهم واختيار اعتذارك بنفسك لنفسك.. أو إن أردت، أن تتجرع وفقط تتجرع، وأن تسامح أفعالهم، وأن تتجاوز بسماحة نفسٍ عن عدم اعتذارهم.. حتى الاعتذار، ليس لك حق فيه!.

• يطالبونك ألا تخطط الجرح قبل أن تنظفه.. يتقنون صنع الجرح، ويمنعون الأيدي من التنظيف.

• وأعتى السجون، كلمة تحبس في سراديب صوتك الذي أبكمه الوجع، فلا هي بقادرة على القبول بالمتاح والعيش في دهاليز الصمت الموجه، ولا هي بقادرة على ترصيص حروفها التي عاث فيها السوس، كي تستنفر كل الآلام الراقدة والجروح النائمة - دفعة واحدة - تغتسل من أدرانها بكل الحروف المستعلية والمستفلة، والرخوة والشديدة.. فتدغم بعضها ومعهما بضع نكبات، وتخفي بعضها ومعهما

بضع ندوبٍ، ولا تجهر إلا بذلك الوجد الذي طال تحفيه..
فأبت آثاره إلا الوشاية به.

● بعض الدهشة تأتينا على شكل مزاح.. مزاح سمج ثقيل..
كذلك الذي يقع حينما يسعون إلى إنجاح برنامج فكاهي لهم
على حسابك، ويكتفون بأن يقولوا لك في آخر الحلقة: شكرًا،
لقد شاركت معنا في "الكاميرا الخفية"
● ملامح طفولية وقلب عجوز بتجاعيد.

● سجن، ذلك الضعف الذي تطالعه في نفسك في مواجهة
قهر يلحقك ممن يستهدفون نفسك، ولا سبيل للفكّاك عنه
ما دام حيفُهم محكّمًا، وتسلطُهم متجددًا بتجدد الدماء في
عروقهم، فلا فرصة لك في نسيان مواقفهم المشينة وردود
أفعالهم المستهجنة، ما دامت لهم القدرة على البراعة والكفاءة
والتفوق في تجديد، بل وابتكار فنون الظلم والخذلان.
وأعتى السجون، ذلك الحيف الذي يلحق ذرية ضعافًا
ولأَكَّ الله أمرهم.. إحساس عميق متجذر في شعب الضعف
المكرور، وقلة الحيلة المضاعفة، والجناح المهيض، فتراك
تصارع نفسك الأمانة، وتنازل غضبك كي لا تقابل الإساءة
بالإساءة، والظلم بالحيف، وأنت قادرٌ على فعل ذلك،
غير مستطيع لخشية من حرّم الظلم على نفسه، وجعله بين

عباده محرّمًا.. فتستمد قوتك - بعد الضراعة لله واستمداد العون منه سبحانه - من حبس النفس والسيطرة على أزمّة الغضب، وتتجلد وأنت تتذكر أن للظالم يومًا لن يخلفه، ووعيدًا لن يُفلت منه، وبأن لك يومًا ستكون فيه أمسّ ما تكون فيه حاجة إلى حسنة باردة تنضاف إلى ميزانك.. فترتاح نفسك لعدل العادل سبحانه، وتشكره على نعمة الحلم والصبر، وعلى نعمة البصيرة، وعلى نعمة التوفيق لكبح جماح الغضب، وتسليم الأمر له سبحانه.

● وأعتى السجون، أن تكون محاطًا بالناس فلا تجدك إلا وحدك.

● وبعض الناس ممن أثنخونك خيبةً تتمنى لهم الخير والسعادة، وتحقيق كل ما يمتنون به، من منطلق إنسانيتك.. لكن.. فليكن ذلك في مبعد عنك.

● وأحيانًا نحجم عن إنشاء علاقات جديدة، ونُصِرُّ على الاكتفاء بمعارفنا وأصدقائنا، بل وغربلتهم، والاحتفاظ فقط - بمن يوافقوننا، ويشاركوننا - بصدق - أفرحنا وأتراحنا، ومن صداقتهم وأخوتهم مكسب لنا، وقيمة إضافية نفخر بها.. ليس بدافع التعالي، ولا بدافع الاستكفاء، ولا حتى بدافع الأنانية وحب الذات، إنما لأننا شربنا حتى

الثالثة من الخيبات، وسئمنا من تجرع الحماقات، ومن تقبل
خذلانهم، وتحمل نكرانهم.. لم يعد في خاطر خاطر لمزيد
تحمل وتنازلات.

• وأعتى السجون أن تكون ممن يعيشون الحياة بكل لحظاتها،
وبكل تفاصيلها الصغيرة، وتضطر لأن تصاحب من يعيشون
على هامش الحياة

• منتهى الإرهاب أن يفرغ الأب (أو الأم) فقدانه ثقته في
نفسه وانخفاض تقديره لذاته؛ في أولاده.. ليحطم فيهم ذاك
الذي عجز هو أن يلمّ شعث ما تشابك فيه، وأرهقته دونيته،
وسطحيته، واهتزاز شخصيته أن يظهر بما ينبغي أن يكون
عليه.

• أيها المستلقون، التافهون، العابثون بذرى المجد، الرامون
للوصول ولو كذبًا وزورًا وانتهازًا.. أدرج السلم تصعد
درجًا درجًا؛ ومن رام القفز واستباق الأدرج.. وقع..

• ولأن طبعهم الخداع والبهتان والزور؛ فإنهم يرون في كل
حركة.. وفي كل سكة ممن حولهم مؤامرة وتحايلا.

• ما لم تعلمه لي أُمِّي.. أن بعض المذوّبين لا ينتظرون حلول
منتصف الليالي القمرية كي يبدأوا رحلتهم في اقتناص
الضحايا، قد يظهرون صباحًا ومساءً، وعند الزوال، ولا

يهمهم بحال اكتمال القمر، أو بقاءه كالعرجون القديم، ولا يرغمهم شروق الشمس على استعادة ذاكرتهم البشرية.

• من كان الصدق في قلبه دخيلاً، فلن يتورع من أن يكذب عليك كلما واثته الفرصة.

• عندك نباتك؛ فاحش على بنات الناس.. واحذر من أن يكون قصاصك من عقر دارك.. واحترس ممن كان وليها الله.

• وما نفعتنا مدينتنا إن كنا لا نفرق بعد بين القلوب وبين الصخرة الصلدا التي لا نفاذ إليها؟

• أحياناً، بعض تخطيطاتهم ليست وليدة ذكاء ولا عبقرية، إنما هو عون الشيطان لهم حتى إنهم ليندهشون أن يخرج كيدهم بهذا المستوى من الإتقان.

• أي أُخِيَّة،

حذار من ذئاب قد تدثرت بمسمى إنسان.. سيكتب فيك كل القصائد وسيروي لك كل الحكايا، وسيبكي بين يديك.. سيوهمك أنك وطنه وملاذه ومنقذته من حياة الضنك التي يعيشها مع زوجته.. وستتشين وهو يخبرك أنك ملهمته، ومن فَجَّر في صدره معاني الشوق والحنين.. سيرفعك فوق السحاب، وسيسميك ملاكه الرقيق، وسينثر قلبه ودمه حرقاً يتلوه عليك.. حتى إذا ما انتهى رصيده في البوح، وجفَّ

حبره وأرهقه السهر؛ جادَ عليك بباقة وردٍ، وسلسلة قلوبٍ،
ثم هُرعَ إلى زوجته يبحث عن الطهر في عينيها، وعن العفاف
في بسمتها، وعن الأنس معها وبين أطفاله.

• هي ذي دنياهم وذلك كل مبلغهم من الحياة، يحسبونها
بالأرقام، ويضيعون في حساب ما كان وما هو كائن،
وفيا سيكون، وكيف يكون.. لا يضعون أقلامهم عن
"عواتقهم"، ويحسبهم الجاهل "ترباً خفاف الحال صعاليك"
من شدة حرصهم ألا يفوتهم الفلوس الأزرق.. جمعوا بين
الحرص والمن والأذى، وضاعت معاني الإنسانية الدقيقة
والقوامة الرشيدة في تبلد باحة شعورهم الخاملة.

• أن تمنعهم حقهم يعني أن ذاك ليس من رزقهم.. عليهم
بالرضا والثقة في حكمة المعطي المانع فيما منع.. وعليك وزر
الظلم والتحايل، وسلبهم حق الله قبل أن يكون حقهم.

• قاطع حديثك، فقسّم جملتك إلى كلمات وكلماتك إلى
حروف، وقطع سيل أفكارك، وضحك واستهزاء، وسفّه
حلمك وألحقك بالرعاع والسفهاء والحمقى وأنت تحاوره..
فلما قاطعته لوهلة؛ تُراجعهُ فيما يقول، أرغى وأزبد، وأرعد
وأبرد، واحمر وانتفخت أوداجه، وصاح: "ليس هذا من أدب
الحوار".

- بعض الناس قد أفسدوا عليك دنياك، فاحذر أن يضيعوا عليك آخرتك.
- دورة الحياة.. لولا وجود الجرذان وأمثالها؛ لما عاشت الأفاعي.
- لا أثقل على القلب من أناس تضطر معهم لأن تصرخ، وتقول: "هذا أنا" تعلمهم بوجودك، وإن كان وجودك ليس مما لا يُنتبه له.. أو أن تضطر معهم لأن تصيح: "لست أنا ذاك الذي تظنون"، لكنهم يصمون آذانهم عن نحيبك، ويُعمون الأبصار عن رؤية من تكون، ولا يرون فيك إلا ما تمليه عليهم رؤية نفوسهم المكسورة وذواتهم المهزومة أمام المرأة.
- بعض الناس يحسبون حسن الخلق تفضلاً على الناس، وبعضهم يحسبونه فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن البعض الآخر.
- من كانت الخسة مبلغ أخلاقه، والنذالة منتهى مبادئه؛ فلن تستطيع إلزامه بغير ما هو عليه.. وكل محاولة لمطالبته بما يجب أن يكون عليه؛ إنها هي إبحارة ضد التيار، وتذكير لنفسك بمواقف سابقة شبيهة.. بحث فيها - هباءً - عن قطرة إنسانية وعن جرعة حضور في مواقف لا تقبل إلا بالرحمة وبالحضور؛ فطال بحثك.

• يتحدثون، ويتحدثون، ويتحدثون.. فإذا تحدثت أنت أنصتوا لما يحبون، وألغوا ما لا يحبون، واقتطعوا من كلامك، وقطعوا عباراتك كلماتٍ وحروفاً، وجعلوا منها سلاحهم للهجوم عليك.

• "أعلم أنك ستؤاخذني بتحليلاتي الساذجة، وستلزميني بقولي، وستسفه حلمي؛ لأن كلامي مبني على أساس واهٍ، بل من غير أساس أصلاً، لكنني سألقمك طعمَ تميع المفاهيم، وسأجعلك تقبل بفلسفتي العمياء بأن أعترف لك منذ البداية بأنها فلسفة السذج، وبأن منطلقاتي مما لا يجب أن يعتمد عليه في التحليل، وبأنني - رغم ذلك - سأعتمدها، وسأمرر لك سُمي في عسل المزاح، وفي استعمال الكلمات الرنانة، وبالعزف على أوتارك الحساسة كإسلامي، وبتمنيق الكلام وتزويقه وترصيع هامته ببعض المصطلحات والقواعد الفقهية وعلم النفس.. وستقبل أنت راغماً، ولربما مختاراً، وستعفيني من كثير إقناع.." لسان حال بعض من يروجون لباطلهم

• النفوس المكسورة والأرواح الخبيثة ميزانها في الحكم على ردود أفعال من حولها مكرها وخبثها، فلا تستطيع الرؤية أبعد من حدود زاويتها المشبعة بالخسة، وباحة بصرها المغرقة في الكيد والندالة.

• فيا من دخلت جنة شهرتك، والتفاف الناس حولك، وانتشيت بعذب منطقك، وحلو بيانك.. وغرَّكَ التصفيق، وظننت أن سمعتك لن تبيد أبداً، وأنت إذا ما رجعت إلى ربك لتجدن خيراً من ذلك منقلباً؛ فاحذر حُسباناً من السماء يكشف عنك الستر، ويصيِّرُك أحاديث، ويخرس لسانك الذي يجرِّئك على الاستمرار، ويجعل إخلاصك ونيَّتكَ غَوَراً؛ فلا تستطيع له طلباً، فتقلب يديك على ما أنفقت لأجلها، وتقول يا ليتني أخلصتها لربي. قد كنت أدعوهم لنفسي وأعرفهم بي، وأوهمهم أنني أعرفهم به وأدعو إليه.

• كن ذلك الذي قررت يوماً أن تكونه.. لن أضطرك إلى التبرير، ولن تضطرنني إلى رؤيتك خلاف ما أراك عليه بل ما أنت حقيقة عليه، فحقيقتك - وإن تخفَّت أحياناً وتلوَّنت - لا تعدو أن تكون سوى أعماقك المائجة بالضغائن والأحقاد، عبثاً تخفيها حينها تروم إخفاءها، ويأبى لسانك إلا أن يغرف من سويداء قلبك المُرِّباد المجخي المنكس عن بذرة الخير.

• قد تردَّى من جبل النخوة والفضيلة، وعبثه سمٌّ في يده يتحساه، ودمعتك يا مظلوم، حديدة في يده، ومشاقص يتوجأ بها ما تجدد الظلم في عروقه، وما غاضت الإنسانية في رمال جهالته وغفلته وسفاهته.

• وكيف لك ألا تصدق وتثق فيمن يغلظ الأيمان، ويبرأ من ذمة الله ورسوله قسمًا على صدقه، وصحة ما يقول؟! إذا ما خدعونا بالله، أفلا ننخدع لهم!؟

• استقالة بعض الناس أحيانًا تأتي كفعل احتياطي قبل أن يتم طردهم.. تمامًا كما بعروض السيرك أو التهريج، حينما يعجز العارض عن تسليق الحبال بخفة ورشاقة؛ فيضطر إلى الاستقالة خوفًا من أن يكتفوا بتحميله مساعدة العارضين على جمع أغراضهم بعد كل عرض.. ما الضير في أن يفعل ذلك كلُّ من أحسَّ أن دوره في الكوميديا الصفراء قد انتهى، فينسحب بكرامة وعزة نفس، وينقذ ما تبقى له من ماء وجه، قبل أن يُطرد شرَّ طردة، وقبل أن يتنبه إلى انتكاسته كلُّ من حوله، وكلُّ من لا يزالون يصدقون أنه مازال رائد الخشبة والعروض المدهشة.. أن ينسحب في صمت أفضل له مليون مرة من أن يعامل معاملة الأسد الذي كان يتحف المتفرجين بقفزه بين الحلقات، فلما شاخ؛ أودعوه قفص حديقة الحيوانات، وليس عليه من أجل إسعاد وإتحاف الأطفال الزائرين سوى أن يتمطى من وقت لوقت، وأن يملأ - ولو مرة واحدة باليوم - أرجاء الحديقة بزارة يتيمة.

● أغلب مَنْ على الخشبة يركنون لاهتمام فئة من الناس بعروضهم، وينتشون بتصفيقتهم، ويستهوهم البقاء حتى ولو علموا بأن دورهم قد انتهى، أو أن أولئك الاطفال الذين كانوا ينبهرون بخفتهم، وينخدعون بمهاراتهم قد كبروا وصاروا يفهمون خدعهم.

● ما لم أتعلمه في المدرسة: كم من فاعل طال تسيّده، وحسب نفسه جوهر الجملة، واختال لكونه مرفوعاً، ونسي أن من كان عالة على رفع غيره له، لن تطول رفعتة.. وكم من مضافٍ حسب نفسه مهماً وعمدة، باعتبار ألا قيمة لمن يضاف إليه إلا بوجوده، فإذا به فضلة.. وكم من مضاف إليه ملّ من استكبار المضاف عليه؛ فكسر سلاسل الخنوع وقيود التبعية، ففضل أن يُجرّ بحرف جر على أن يبقى تابعاً لمن يختال عليه.. وكم من حروف ظننا أنها تمجّرنّا، لكن تبين أن لجرّها مدة صلاحية انتهت بكشف القناع وإسفار المستور.. وكم من أضداد صارت مرادفات، واتحدت حينما رأت المصلحة المشتركة ونسيت مبادئها، وأنها كانت - يوماً - خصماً لمن اتلفت اليوم معهم.

● نبتة لم تجد لها على الخير أعواناً؛ فخرج شطّوها أخرقاً.

● وهذا الفاجر قد شحذ السنان وملاً الدواة حبراً، وجعل دواوينه تعبق حرفاً.. وتجراً على النصيحة والفتيا، ودلالة

العباد على رب العباد.. قد ذل له بيانه، وخدمه التفاف السذج المحبين حوله، وجعل من ذكائه ودهائه مطية لقلوب الناس. جَلَد وقوة شكيمة ونبوغ فكرة.. فسرق الأضواء ومعها الأرواح، ونسي أن الستير قد يفضح، وأن الغفار إنما يغفر لمن كسره الذنب.. وعاد تائبًا آيًّا خائفًا من العود ومن عدم قبول توبته، لا لمن أخذته العزة بالإثم، وجعل لسانه الحاجز بين عيوبه وعيون من رأوا الإبداع في الفكرة والجرأة في الطرح والتميز في الأداء؛ فظنُّوه إخلاصًا وصدقًا.

- فقط، لا تكن أنت الشر المتربص، والضلال المتخفي الذي يحرص على أن يفتن من حوله عن دينهم.. ولنا من الشرور الأخرى الظاهرة ربُّ يكفينها، ويحمينا منها، ويعصم.

- احذر أن تكون ممن له تأثير على من حوله، فزهّد الناس في الأمل وفي رجائهم في ربهم، أو ممّن فتحوا لهم أبواب الحياة على مصراعيها يركضون فيها ركض الذئب.. واحذر أكثر أن تكون أفعالك وأقوالك سببًا في جعلهم يكرهون دينهم، أو يفقدون الثقة في رجالته.

- لم يستغربوا إذا ما نظروا في المرأة فرأوا جسدًا معلقًا في رأس ذئب؟ فليمسحوا الدم المتقاطر من قواطعهم، وليسعدوا أن مازالت الدنيا مليئة بالفرائس.

• قد تُعذر إن كنت لا تستطيع أن تعينهم.. لكن لا تُعنِ الشيطان عليهم.

• من الناس من يتحرى إيذاءك ويتفنن في إيلاك، فإن أنت شكوت أو عتبت؛ اتهمك بالحساسية المفرطة، حجته في ذلك معرفته القديمة برقتك وطبعك المسالم، ورصيد سابق من صفاء قلبك وعدم ردك بالمثل. وعوض أن يعتذر ويعترف بخطئه، يزيد باتهامه قلبك حسرة وكمداً.. وكأنه بخبث مقاله سيعطي عن سوء فعاله، وكأن براءتك وحسن طويّتك تعطيه الحق في أن يؤذيك، وتمنع عنك حق التظلم والتشكي.

• لكل زلة لهم عنها أعتذار وأعتذار.. شعارهم في ذلك: "خذوهم على قدر عقولهم" ..

ولأنهم يعلمون تلك المساحة الشاسعة في قلوبنا، والتي تتسع لكل زلاتهم، وتقبل كل أعتذارهم؛ استمرءوا الزلة، وأعقبوها بالاعتذار حتى صاروا متلازمين..

ولم لا! وهم يعلمون أن قلوبنا الكبيرة لا يسعها إلا أن تساعهم

حتى إننا بتنا ننتظر بفارغ الصبر.. كيف ستكون الزلة التالية للمتلازمين (زلة واعتذار).

- تبريراتهم المتواترة دون أن يُكلفوا التبرير، ومحاولاتهم المتتالية لإقناعنا بسلامة سريرتهم دون أن يُطلب منهم ذلك؛ أكبر دليل على تورّطهم فيما يحاولون دفعه عنهم.
- يا من يبحث عن أرقى العطور، ويتخير أزكى البخور، هلاًّ بحثت عن عطر يبدد رائحة ذنوبك التتنة؟!
- كل يوم بتبرير جديد، وبعض التبريرات محاولةً في أن يمشوا فيما هم عليه.. لكن بضمير مستريح.. وكل ساعة بيان يبرر التبرير، وآخر يوضح ما لا يحتاج إلى توضيح، وآخر لإقناعنا أن نرى بأعينهم ما لا يُرى، أو ما يزعمون أنهم يرونه.
- عفواً، للموا شظايا نفوسكم المكسورة، فقد آذنتني وأثخنتني بالجراح.
- تتمزق شفقةً عليهم، يعتصر قلبك لأجلهم، وأنت ترى نوائب الأيام تتخطفهم، تخشى عليهم أن تلتهمهم الوحوش حولهم.. يهجر النوم مقلتيك، يتفصّد الفؤاد وما تجد لهم من حيلة.. تغمض عينيك وأنت تتكسر دعاءً لهم.. تفتحها على أنيابهم ومخالبهم.. يتهاؤون للفتك بك.
- يسلبونك نصيبك الذي هو حق لك، لا شيء إلا ليشغلوك بالمطالبة الدائمة به، والتشوّف المستمر للحصول عليه؛ عن التطلع إلى الفضل.. فإن أنت انتفضت وطالبتهم به، ورأوا

استماتتك؛ عادوا ليساوموك من أجل إرجاعه، على المزيد من التنازلات.

• حينما تصبح الابتسامة دلالةً على الكذب، والضحك رمزًا لاهتزاز الشخصية.. تلك الابتسامة الصفراء المستفزة والقهقهة المهيّجة المثيرة للحنق، والتي يختم بها عادة السياسي الفاشل خطابه أو تحليله أو حوارهِ، هي - في حقيقة الأمر - علامة واضحة على كذبه وافترائه، واهتزاز شخصيته واهتراء طرحه ورعونة أدائه، قبل أن تكون وسيلته لإقناع نفسه بتمرير خطابه بحنكة للمتلقي، وباستغفاله أو باستفزازهِ.. وهي نفسها تلك الضحكة التي يتقنها بعض من حولك في مواجهتك كلما أحس بنفسه محاصرًا بصدقك، وبأحقية كلامك، وقوة أدلتك، وثباتك على موقفك، مقابل فراغ يده من كلمة واحدة مقنعة أو حجة واحدة مُفحمة، فيعوض نقصه بالسخرية، وترنحه بالاستفزاز.

• بعضُ الناس لا يفهم معنى أن تكون مخالفًا له، دون أن تثبت العداوة بينكما. لا يفهمها إلا من خلال: "أنت لست صديقي، إذاً أنت عدوّي" لسان حاله: ليس هناك منزلة بين الجنة والنار.. وينسى أن على الطريق بينهما، أعراف؛ ينتظر أهلها أن يقضي الله فيهم بحكمه.

- قديكون ما أنت فيه من ضنك؛ استمراءك الذنب، واستطابتك ستر الله عليك دون أن تستعجل التوبة والرجوع.. وما أدراك لربما انضافت إليها دعوة مستغفل مظلوم قد ملأ نسيجه ما بين السماء والأرض وأغرقت دموعه الفؤاد المتفصّد.. قد نمت هائناً مرتاح الضمير والبال، وتوقّدت عينا المظلوم.. تطارد النجوم، وتبث شكواها للمنتقم الذي عينه لا تنام.
- وكم من موقف يهتف بك: "اصمت.. فإنك كلما تكلمت؛ زدت إغراقاً لنفسك، وأُثبتت عليك الحجج."
- وقد يفضح الله سريرتك كي ترعوي، وتتوب إليه أوبة الضعفاء المنكسرين المعترفين بالذنب والتقصير، فإن كان من عذر فله سبحانه، وإن كان من تبرير فلمن يعلم السر وأخفى.. دع عنك من حولك، واترك إقناعهم بسلامة طويتك، وحسن مقصدك، فلن يُقَبِّروا معك، ولن يُبعثوا وازرين أثقالك، ولن يغنيك إقناعهم عن الحجة أمام الله.
- التقط أنفاسك، والتقط معها حطام المرأة الملقاة قرب قدميك؛ لعلك تصنع من شظاياها تلك الصورة التي تشبهك.. لم تكذب المرايا يوماً أو تُخُن.
- أولئك الماكثون في جبهات القتال حربهم معلنة، واضحون وضوح شظايا قنابلهم.. وقد يُسَرِّفون ويسمون مجاهدين

أشأوس محرّرين.. أما أولئك القابعون تحت السّقف،
المسمون شركاء وأزواجاً، فما يعلم بحروبهم الباردة إلا
المتشطي بصقيع سمومهم.. "قاتل الجسد مأخوذ بذنبه،
وقاتل الروح لا يعلم به بشر".

• ما لم تعلمه لي أُمي: أن النفوس المكسورة والأرواح الخبيثة،
ميزانها في الحكم على ردود أفعال من حولها؛ مكرّها وخبثها،
فلا تستطيع الرؤية أبعد من حدود زاويتها المشبعة بالخسّة،
وباحة بصرها المغرقة في الكيد والندالة.. تشهر سلاحها في
وجه كل من خالفها، وتُخْضي وقتها في تحدي السراب، وتفني
عمرها في محاربة طواحين الهواء في محاولات يائسة للانتصار
بأي وجه، وبأي ثمن.. قد سبقك إلى ذلك الدون كيشوت،
فلم يُجنّ على نفسه سوى المضرة والهلاك.

• ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ ۖ﴾ (٤٣) وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٤﴾

(إبراهيم، 42: 43). هكذا يبدو الأمر مؤلماً لأول وهلة، وأنت
ترى الظالم يتنعم بحياته ويستمتع بأكله ونومه وعشيرته،
ويصول ويجول، والمظلوم قد جافاه النوم، وتفتّت كبده
وعافت نفسه الحياة.. تعلم أن وعد الله صادق، وأن الظالم

لابد مُلاق حسابه، لكنك لا ترى في الواقع أثر عقاب أو انتقام.. فيا أيها الظالم، لو بك من بصيرة وحكمة؛ فاسأل الله العفو، ورُدَّ لكل ذي مظلمة حقه، أو إن كان ولا بد من انتقام؛ فاسأله أن يكون في الدنيا.. ويا أيها المظلوم، لا تبتس؛ فإنما موعده اليوم الآخر حيث لا إمهال ولا تأجيل.. في يوم عصيب ذي أهوال ترى الأبصار فيه شاحصة من الفزع والهلع والرغبة، يأخذها الهول فلا ترى منها رمشة ولا ارتداد طرف.. مسرعٍ الخطى، مطأطيء الرءوس من الذل، لا يلتفتون حولهم.. وقلوبهم معلقة فارغة خاوية هواء.. اللهم مظلومًا ولا ظالمًا.. والعافية أوسع لنا.

لو ما كان من ظلمهم وعتوهم، إلا أن جعلوك تجارًا إلى الله بالدعاء، وتنكسر بين يديه سبحانه، وتُظهر فقرك وفاقتك؛ لكان ذلك كافيًا؛ لشكرهم، وتكافئهم على حسن ما صنعوا بك.

حق بي - يومًا - ظلمٌ كاد قلبي بسببه ينفطر، فطفقت أشكو إلى العدل سبحانه بشي وموجدتي، أعزي نفسي بعدله سبحانه، وأسألها بأن مظلمتي سأخذها - حتمًا - بين يديه تعالى، وأن ظالمي لا بد واقف أمامي يوم الميزان، ولزامٌ عليه ردُّ حقي من حسناته يوم لا درهم ولا دينار.. لكنني سرعان ما تذكرت هول

الموقف والاضطرار لطول الوقوف بسبب ظلم.. لولا مِنَّةُ الله علي لكنت أنا المتلبسة به.. فبصرت بإرغام نفسي على العفو، وبإلزامها بالساح.. لسان حالي ومقالي: اللهم سلّم.. سلّم.

• قالت في انتحابٍ: ظلموني.

فقلت لها: لا تبتئسي؛ فلعلها من ذنب أبي الله إلا أن يمحوه عنك.

قالت: عزّت عليّ نفسي حين شتموني.

فقلت لها: لا تحزني، شتيمتهم فرصة لإعادة ترتيب كرامتك.

قالت: لكنهم طردوني.

فمسحتُ دمعاً قد تالّأت في محجريها، وقلت:

"لئن طردوك من ديارهم؛ فلم يطردوك من رحمة الله".

• يا ظالمي، أنت ذنبي المسلّط علي ابتلاءً وتمحيصاً؛

فانظر من أنا بالنسبة لك حين ظلمتني..

اللهم مظلوماً لا ظالماً.. (والعافية أوسع لنا).

• ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوْا أَعْدِلُوْا

هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

ماذا كان يضيرك لو أعلنتها كلمة عدلٍ تجدها في صحيفتك يوم القيامة؟

ماذا لو كنت تجردت من أنانيتك، وقهرت هوى نفسك،
وصدحت بها في الآفاق، شهادة تبرأ بها إلى الله، تؤدي زكاتها
صدقا وصدحا بالحق؟
فوا أسفا على من أخلد إلى بواطن الأمانة بالسوء، تخرج أضغانه
وتجنفه على بغضه، وتجترئه على الحق وعلى العدل..
هو أقرب للتقوى.

على هامش المخاطرة:

لماذا قال تعالى: (هو أقرب للتقوى)، ولم يقل: هو التقوى؟
يقول الشيخ العثيمين - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:
قوله: ﴿اعْدِلُوا﴾ أي: العدل الذي أُمِرَ به أقرب للتقوى،
ولم يقل: هو التقوى، بل قال: أقرب للتقوى؛ وذلك لأن
العدل قد يُحمل عليه مخافة الله فيكون تقوى، وقد يحمل عليه
محبة الثناء عند الناس فلا يكون تقوى، ولهذا جاءت الآية
الكريمة: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

ويقول الطاهر بن عاشور - رحمه الله:

"ومعنى ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أي للتقوى الكاملة، التي لا
يشذ معها شيء من الخير، وذلك أن العدل هو ملاك كبح
النفس عن الشهوة، وذلك ملاك التقوى".

- وأكبر خيبة لهم، أن يكتشفوا أن كل مخططاتهم لجعلنا ننهار بسبب ما يلحقونه بنا من ظلم وأذى؛ قد باءت بالفشل، وبأن اللطيف سبحانه، كم من بردٍ وسلام يُنزلهُ علينا مصاحباً لنيران حروبهم المتلاحقة علينا، فلا يلحقنا منها بكرمه سوى ما يرسخ إيماننا بعدالة قضيتنا، وبصحة اختيارنا، وبلطف ربنا.. كل الودّ ودُّهم أن نثلج صدورهم بانقيار واضطراب يشفي مراجل قلوبهم المتأججة كرهاً وحقداً.. ويأبى لطف الله إلا أن يكبدهم الخسائر والهزائم.
- الشكر لأولئك الذين حفظوا ودَّك، ولم يتنكروا لسالف عهدٍ ومحبة؛

فأقاموا عثرتك،

وستروا زلتك،

واستمطروا لك عوض العذر أعذاراً..

والشكر لأولئك الذين ألقوك - عياناً - في جبٍّ لا مبالاة،

وباعوا - قصداً - مودتك بثمان بنخس، وكانوا في حق

صحبتك وأخوتك من الزاهدين..

وأجزل الشكر وأوفره لأولئك الذين لم يطل تحفيهم، في

لحظة.. ساعدوك على تصنيفهم، وإلغائهم من قائمة المقربين.

- إلى من ضاق صدره من ظلم قريب، أو جفاء حبيب؛ لضيقة القبور أكثر وطأة من ضيق الصدور، فلنعلمها:
أيا دنيا فانية لا تحزينني.. لا تشغليني.. لا تلهيني
ربنا، هذه حياتنا الدنيا رضىنا فيها بما قدرت لنا؛
فاقدر لنا حسنَ الختام، وميتة على كلمة الإسلام،
ووسّع لنا في قبورنا، واقسم لنا من رحمتك، وعفوك، وكرمك
ما تبلّغنا به جنتك.
- في قانون البشر، القانون لا يحمي المغفلين.. ولكن في دستور ربّ البشر، دعوة المظلوم المستغفل ليس بينها وبين الله حجاب.
- وإني لأعجب لمن خرج يلوح في السماء بشارات التنديد بالظلم، وهتافات الحق على الظالمين.. ولما يقيم دولة العدل في بيته.
- قد يعلو الظلم، ويصنع له أنصارًا وأتباعًا، لكن انتفاشته لا تدوم، ولا يمكنه بحال أن يصنع أمة. ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾
- أحيانًا يكون السبب في تعنت الظالم وتماديهِ في استبداده، دون أن يتنبه إلى سفاهته وسذاجته ورعونته في خطته، التي

أخفق من قبله في اتباعها، استشعاره أو بالأحرى اقتناعه بأنه أذكي و"أفلح" وأكثر تكتيكًا ممّن سبقه، وبأنه قادرٌ على تغيير مجريات النهايات خلافاً لما كانت عليه نهاياتهم.. ولو كان أكثر فطنة لاعتبر وارَعوى؛ عوضاً أن يضطر إلى المواصلة فقط إنقاذاً لماء الوجه.

● وأعتى السجون، أن تكون ذا مبدأ، وتضطر لمواجهة من لا مبدأ له، وأن تكون مظلوماً فيحولك خصمك إلى متسلط، وأن تكون عميقاً، وتضطر للتعايش مع السطحيين.

● هلاً اعتذروا إذ أخطأوا.. من الناس من يتحرّى إيذاءك، ويتفنن في إيلاмок. فإن أنت شكوت أو عتبت؛ اتهمك بالحساسية المفرطة. حجته في ذلك معرفته القديمة برقتك وطبعك المسالم، ورصيدٌ سابق من صفاء قلبك، وعدم ردّك بالمثل. وعوض أن يعتذر ويعترف بخطئه؛ يزيد باتهامه قلبك حسرة وكمدًا.. وكأنه بخبث مقاله سيغطي عن سوء فعّاله.. وكأن براءتك وحسن طوّيتك تعطيه الحق في أن يؤذيك، وتمنع عنك حق التظلم والتشكي.

● لا تفكر في أن تخلط ما انتثر من حبّك بسمّ زعاف عقاباً لهم على إفراطهم في الثقة، فقد تحتاج أنت - يوماً - لذات العصف.

كقطع من الليل..

- وبين اتهام للنيات وحكم على السرائر، وبين تنزيه وتبجيل وتعظيم؛ يضيع العلم بين طلبته.
- من تزلف بالباطل لأهل الباطل، وقدم الحق لهم قربانًا مذبحًا في طست من تملق؛ اجتمع باطله بباطلهم فصارا جبالًا يشنقه، وسكينًا يشرخ وجهه.
- أن ترى الحق حقًا، والباطل باطلًا؛ نعمة تستحق سجدة بين يدي المنان الوهاب.. في حين غيرك قد لبس عليه، ولربما ختم على قلبه وعلى بصره وبصيرته، فلا يرى أبعد مما يراه من حوله ممن لبس عليهم أيضًا، بل ويجزم أنك على باطل، ويعاملك على ذلك الأساس. إذا تعلق الأمر بشهوة؛ فالخلاص منها قد يكون يسيرًا لمن أراد الله به خيرًا ووقفه إلى التوبة، فكم من سكير.. وهو في أوج خمرته يسأل الله العفو، وكم من مذنب يذنب وهو يعلم أن ما يفعله لا يجوز، وقد تكون خطوة الإصلاح معرفته تلك بحقيقة ما هو عليه، لكن الشبهات أمرها عسير، إذ تأتيك الأوهام على أنها حقائق، وتأتيك الظنون على أنها مُسلمات، بل من كثرة اقتناعك بفكرتك لا تبحث عن وضعها في الميزان،

وبالتالي تصحيحها. فإذا ما هداك الله - مِنَّةٌ منه وتفضلاً - إلى معرفة الحق ورؤيته حقاً، ومعرفة الباطل ورؤيته باطلاً، فاسأله سبحانه أن يُمّن عليك باتباعه، فلا يكفيك معرفته، وأن يصدق عليك بالثبات عليه..

فكم مَن ساروا، لكنهم حادوا وانقطع بهم السبيل أثناء المسير.

● قد يكرم الله العلم بك.. ولا يكرمك به.

● نعي واجب..

ذات أمان، كانت هناك صحبة قد حملت لواء الإيمان، وحب الخير للأنام.. فلما صار ما صار، أغوزها صحة فهم، وحسن قصد، فخاضت مع من خاضوا.. ولجّت مع من لجّوا، وضجّت مع من ضجّوا.. وحافت.. وجافت.. لم تفهم حينما أدلي لها، وأنفذت دون أن يتبين لها.. فسقطت

وأسقطت..

فلله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى..

عزاء واجب فيها،

وسيل دموع؛ رحمة جعلها الله في قلوب عباده.

- الخطأ خطأ، ولا شيء يسوّغه، والحق لا تبرأ ذمتك أمام الله إلا بإحقاقه ولو على نفسك، فقط أحسن الظن، واختر عباراتك وأنت تندد به، فليس من العقل أن يُصحَّح الخطأ بخطأ مثله، أو أكثر منه.
- ليس أمر الأعيان ما يهم، ولا أمر الشيوخ القادة المتبوعين، ولا حتى المتعلمين السائرين على نهج شيوخهم، إنما الخشية على المتعلمين، والأغمار التابعين، والرعا.. أتباع كل نعيق، المائلين مع الريح حيث مالت.
- لست مُطالباً بالتأويل لأحد، ولا أن تقبلَ عذرَ من لا ترى له عذراً بعد أن عرضت خطأه على الشرع.. خَطَّي الفعل، وابتعد عن ديانة صاحبه ونواياه، فوالله إنك لمسؤول عن كل كلمة، وعن كل حرف تتهم به أخاك بالنفاق والمروق من الدين. واعلم أن القدوم على من يعلم السر وأخفى، الديان الذي يحكم بين عبادِه فيما هم فيه مختلفون.. ولا تنس أن خصمك - يومها - دونهم محمد - ﷺ - ، وإنما وفاء الحقوق - يومها - ليس بالدينار والدرهم، وإنما بالحسنات والسيئات.. وليكن لك في نبيك أسوة، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وأسماء المنافقين الحقيقيين كانت عنده بوحى يوحى، لكنه - بأبي هو وأمي - لم يذكر أسماءهم، ولا تسابب بعده أصحابه حتى في أحلك الفتن بكلمة "منافق" التي أصبحت الأقلام والألسنة لا تجد حرجاً

من الجهر بها.. واسأل الله العافية أن نجّاك مما وقع فيه غيرك، فإنما هو توفيق من الله، وحرزٌ منه سبحانه، لا دخل لقوة إيمانك به، ولا لـ"فهلوتك" وحنكتك وحسن تدبيرك.. فلو لا الله لما اهتدينا.. وفي النهاية، إذا أبيت إلا الاستمرار في نهجك التصنيفي الإقصائي البعيد عن نهج نبيك؛ فأرنا - فضلاً - صكّ أمنك الفتنة على نفسك، وعهدَ عدم سقوطك أنت أيضاً في الخطأ، وسنقبل عذرك حينها في اتهامك غيرك بالنفاق.. وسنصفق لك وأنت تهذي في محاولاتك المتكررة لإلحاقه بالكفار والمارقين من دين الله.. وسنسّميك: "المعصوم الناجي".

• ترى أمتنا أصبحت في حاجة إلى نظارات طبية لرؤية الشمس برباعة النهار؟! وإن رأّت تراها ستصدق ما رأّت؟ وإن صدقت تراها ستعتقد اعتقاداً جازماً من غير شك ولا ارتياب في صحة ما رأّت؟ وإن اعتقدت وعلمت أن ذلك هو الحق، تراها قادرة على استيعابه؟ وإن استوعبت تراها قادرة على الثبات عليه من غير أن يأتي ما يشككها فيه؟ فإن ثبتت، فاعلم - يقيناً - أن ذاك ما كان إلا بعدما تلظّت بنيران الخيبات، ولُدغت من ذات الجحر مرات، وطالها السُّعار المحموم الذي ظنت أنه إنما خصص لغيرها.. وعالجتها سكرات التيقظ بعد طول سبات، والاستواء بعد طول ترنح.

• ما بالنّا ابتلينا بنشّ القبور، نحشر ملفات إخواننا القديمة.. نشر هفوات فئة ممن أخطأوا الحساب وأساءوا التقدير.. فكان منهم ما قد كان، ونجرّد زلات فئة ممن كان اجتهدهم يدور بين الأجر والأجرين.. نحلل ونربط بين الأرشيف وبين ما آلت إليه الأمور، نغتنمها فرصة للشهامة أو للقذف أو للوقية أو للإخراج من دائرة الأختيار.. وننسى بين هذا وذاك أن ما كان، قد كان بقضاء العدل سبحانه، الحكيم العليم المدبر، وأن نوجه أصبع الاتهام إلى أنفسنا ابتداءً.. نعترف بأن ذنب الواحد قد تتحمل عاقبته الجماعة، وبأن نسأل الله أن يسلم ألسنتنا كما أيدينا من الفتنة.. اللهم ألهم أمة حبيبك رشدًا.. وفيها الفتنة ما ظهر منها وما بطن.

• دعوه، فلربما تاب توبة..

لربما ندم وتاب.. وأخلص وأصلح، ولربه أناب. لكنهم مصرّون على طرده من الرحمت.. وإلحاقه بالسخط، وغضب رب البريات.

كالوا له الاتهامات، وحددوا له العقوبات، وأعدوا النار له والويلات، فلم يعد بينهم وبين تحقق ما خنوه.. بل ما أيقنوه، سوى البعث والنشور وخروج من في القبور.

ويا ليتـه وجد من القوم من يقول:

"دعوه فلربما تاب توبة..

حينما تسقط القدوة..

ذات صلاح، كانت هناك قدوة، فلما سقطت

تداعت في النفوس معاني الفضيلة.. وانهار جدارُ اسمه الثقة

في بقية صالحة من عهد الأمل.

فاللهم يا جبار نسألك أن تجبر ما انكسر.

نظرت حولي إلى أخطاء "المتسنين" فوجدت أشدها: من

استخفى في حلية (أو في خمار) واحتتمى بآية يحفظها، وحديث

يفقهه، وفصاحة تبهر من حوله؛ ليعفي نفسه من مواجهة

نفسه، ويحس بأنه في أمان مادام اللسان قادرًا على أن يكون

الحاجزَ ما بين عيوبه وعيون المتطفلين.

وأكثر منه من تعلم العلم ليُنَظَّرَ به للمعصية ويتحايل به على

الرخص، ويخطط به ليرتع حول الحمى، أو لربما ليرتع فيه.

أعجبهم صوتك وأنت تتلو القرآن.. فانتشيت

وانبهروا بغرفك من كتب العلماء وصدحك بأقوال الحكماء..

فاستكبرت

طاوعك لسانك، وذلل لك بيانك؛ فهزمتهم، وسفّهت

أحلامهم وانتصرت لنفسك واستعليت
غَرَكَ ستر الله؛ فتهايت.. فكشف سريرتك، وفضح طويتك،
وجعلك أحاديث
فيا تُرى هل استحيت!!
هل نزع، وارعويت؟
(اللهم سترك؛ فلا تفضحنا، وعفوك؛ فلا تكشفنا. اللهم
استعملنا ولا تستبدلنا).
أنتم تصنعون طغاتكم..

سمعوا فصاحته في زمن صار التصحيف فيه ظاهرة فنية..
فَبَجَّلُوهُ،
ودرسوا عليه في وقت.. قَلَّ فيه الطلب، وعملت الكثرة
بالبدع.. فقدَّسوه.

استشهدت في مواعظها بأقوال رواد السلفية.. فنزوها..
ثم لما جاء التمحيص؛ فظهرت المخبوءات وكُشفت السرائر،
أزغوا وأزبدوا، وأبرقوا وأرعدوا، وقالوا: ما كان ذاك الظن
فيهم..

على رسلكم؛ علام اللوم؟ وفيم تعتبون عليهم؟
أنتم شركاؤهم؛ فقد كنتم عوناً للشيطان عليهم.

• درسهم منهج "التصنيف"، وعلمهم فن "الإقضاء"، فلما زلّ، كانوا أول من صنفه وأقصاه..

(مجرد تطبيق عملي..)

• تتبع الهفوات، وانتقص الكبوات، وشن الحروب والهجمات على فلتات اللسان وزلقات الأقدام.. فلما نُصح وعُوب؛ أرغى وأزبد، وأبرق وأرعد، ومن نصحهم انتفض..

ثم هدد:

"لَحُومُ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ، وَعَادَةُ اللَّهِ فِي هَتَكِ أَسْتَارِ مُتَّقِصِيهِمْ مَعْلُومَةٌ"

فيا من نصّبت نفسك عالماً، وحرّمت لحمك على ناصحيك، وأهدرت أستار مرشديك، هَلَّا كِلْت لَهم بِمثل ما كِلْت به لنفسك؟ هَلَّا كَانَ ذَا التَّحْرِيمِ لِلْحُومِ مَن انْتَقَصَتْ وَجَرَحَتْ!، بل ومن زمرة الأخيار طردت؟!

فوا عجباً لِسَمِّ يَخْتَارُ مِنْ بَيْنِ اللَّحُومِ وَيَنْتَقِي!!

• تعلم الحلال والحرام وبرع في تفصيلهما، فجعل من الحرام كبائر تجتنب، وصغائر لا بأس أن تقترب مادام لها مكفرات.. ومادامت العقيدة والمنهج سالمين، فلا خوف على من عزم، ولا على من اقترب، ولا على من أصر..

لسان حاله:

وكثّر ما استطعت من الخطايا

إذا كان القدوم على كريم

ما أغنى عنك علمك يا مسكين.. فربك الذي نهى عن الكبائر
نهى أيضًا عن الصغائر
فلا تغتر.

● أنت بالخيار: إما أن تنصر الحق

وإلا؛ فإنك تنصر الباطل

أما الحق فواحد على كل حال.

● أرواحنا الظمأى إلى القدوة تدفعنا إلى صنع قدواتنا، وإضفاء
الملائكية والقدسية عليها..

وحينما تظهر المخبوءات وتعلن السرائر؛ نُصدم، فيلزمنا -
حينها - وقتٌ حتى نستفيق.. وحكمةٌ وتؤدة حتى نفكك
شُعث ما تداخل وتشابك في أرواحنا.

● ليس معصومًا، وليس كاملاً، ويصيب ويخطئ.. (جبلته
البشرية) لا تتفق معه من منظور شرعي ولا تسوغ خطأه
بالدليل.. (واجبك أمامه وأمام نفسك - وقبل ذلك - أمام
الله) تنصره ظالمًا، وتنصحه وتقيمه إذا مال عن الحق.. (لا

فيديو
الروح

(1)

زخات حبر.. وياسمين..

خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فيهم إن لم يقبلوها) (أديت واجب أخوتك له) لا تقدس شخصه ولا تركيه ولا تلبسه حلية الأنبياء أو المعصومين.. (نجوت من الغلو والدروشة ومن عبادة العلماء) ولكن أن تجعل كل كلامك لهمزه ولمزه، والتنكيت عليه، وتجريده من حسناته، وجرد أخطائه وعوراته، فقط لأنه زل من غير قصد، وأساء التقدير، ولم يوفق للرؤية من الزاوية التي وفقك الله للرؤية منها أنت؟! راجع نيتك.

● إن منعتك الغشاوة التي على عينك وقلبك أن ترى الحق، فلا أقل من ألا تنصر الباطل، وتصفق له، وتروج له.

● قالوا: "نصيحة وليس فضيحة" وهم يتحدثون عنمن اختار أن ينصح أخاه علانية بما لا تستقيم معه مقتضيات النصيحة والغاية منها.. فماذا عن هذه الفضيحة وهي تستقي كنهها من الهمز واللمز والاستهزاء والتنكيت؟! سيعجبون - حتمًا - بكلامك المغرق في "خفة الدم" .. وحتما ستضحكهم.. ستسليهم، وستنشئ لتصفيقهم لك..

لكن ، تذكر الوقوف بين يدي الحسيب المنتقم سبحانه ، الذي لا تحفاه خافية ، وتذكر سجلك وماحوى ، أكنت لتفرح بما فيه من همز ولمز وأنت تظن ذلك نصيحة..

• وأنت تتقاذفك أمواج الحيرة، وتتخبط في لجج الشك، ولا تعلم أي ركن رشيد يسند رأسك المترنح، لا تغفل عن المحجة البيضاء والخط الواحد الفرد المستقيم، وما اجتمعت أمتي على ضلال، واستخارة ربك العليم، واستشارة الثقات الراسخين، ف(من حق العاقل أن يُضيف إلى رأيه آراء العلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفردُ ربها زلٌّ، والعقلُ الفردُ ربها ضلٌّ)*

الرأي كالليل مسودّ جوانبه

والليل لا ينجلي إلا بإصباح

فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى

رأيك تزدد ضوء مصباح

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن

برأي نصيح أو نصيحة حازمٍ

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة

فإن الخوافي قوة للقوادم وبين هذا وذاك،

- (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ الْبِرَّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوَكَ). والكلام لصاحب القلب السليم. قال الشيخ

العثيمين - رحمه الله - في شرح رياض الصالحين: "أي: حتى وإن أفتاك مفتٌ بأن هذا جائز، ولكن نفسك لم تطمئن، ولم تنشرح إليه؛ فدعه، فإن هذا من الخير والبر، إلا إذا علمت في نفسك مرضًا من الوسواس والشك والتردد؛ فلا تلتفت لهذا، والنبي - ﷺ - إنما يخاطب الناس، أو يتكلم على الوجه الذي ليس في قلب صاحبه مرض" انتهى.

• تراه شرًّا؟ أغلق على لسانك صدغيه، وعليك أبوابك واعتزله.. أو آوِ إلى كهف ينشر لك ربك من رحمته، ويهيئ لك من أمرك رشدًا.. أو عُصْ على جذع شجرة، وانتظر الفوت.. أو الموت.. ولا تصنع شرًّا جديدًا بدعوة الناس إليك، أو بتأليبهم وإلهاب حماسهم.. وبالتجني على اللغة بإضافة معنى جديد للاعتزال في لسان العرب..

الاعتزال معناه لغة: البعد والتنحي.

• وإن كنتَ ولا بد قائلًا، فاحذر أن تتحدث في غير فنك؛ فتأتي بالعجائب، أو أن توصف لي ما أراه بما تراه فلست أعمى.. واحذر أن تحلل ما لا يحتاج إلى تحليل، أو أن تخوض فيما هو من المسلمات عند الصديق قبل الخصيم، أو أن تستعير حروف فتنة تشعل بها فتائل الفرقة والضغينة؛ فتصطلي بها أنت قبل من رمت إحراقه.

- قال بعض الحكماء: لا ينبغي لعاقِل أن يعرّض عقله للنظر في كل شيء كما لا ينبغي أن يضرب بسيفه كل شيء. (العقل لابن أبي الدنيا) قلت: لو أن كلَّ من نبح، وكلَّ من عوى، وكلَّ من نعق، وكل من سب، وكل من قذف، وكل من هرّج، وكل من هرطق، وكل من تكلم في غير فنه فأتى بالعجائب، وكلَّ من بارى العلماء.. ومارى السفهاء وصرف بكلامه وجوه الناس إليه؛ تابعناه على كلامه وألزمناه بما يقول، وصرفنا جهدنا ووقتنا لنقيم عليه الحجة؛ لما وسعت حناجرنا ألسنتنا، ولأعلنّا التفرغ للردود، فهم لا ينتهون، وكلامهم لا يمحُل، وسفاهتهم ورعونتهم لا تنقضي.. والعاقِل من يحفظ عليه عقله، ويضنُّ به على ما لا ينفعه ولا يشحذه.
- لا يغرّنك كثرة التابعين..

إذا أردت أن تعرف القيمة الحقيقية لمبادئ وآراء متبوع كثير الأنصار؛ فانظر إلى نوعية أولئك الذين تلقى دعوته قبولهم، وإلى أولئك الذين يصفقون له ويتبعونه بمبخرتهم؛ لتعلم حجمه الحقيقي، فالنحل يدلّك على طيب الطعام، والغراب إنما يدلّك على الجيف.

- وفرق بين عالم بالله، وعالم بدين الله: الأول قاده علمه بربه إلى خشيته ومراقبته في حلّه وترحاله وكلامه وإطراقه وفعله

وتركه، والثاني قد علم تفصيل الحلال والحرام ونهل من كتب العلماء، لكن علمه ربما لم يهده إلى الخشية وإلى الاتباع. ومن يستشرف لها.. تستشرف له.. الفتنة.. حدد في أي شيء فتنتك.. وابتعد عن مواطنها.. وأصلح ما شأنه الإصلاح.. واستعن بالله، وانظر بين يديه أن يغيثك منها؛ فلا نجاة إلا به ومعه.

ارحموا أنفسكم أيها الإخوة الأعداء، وازبأوا بها عن حمية الجاهلية، فإن التراشق كما كاتانا الساموراي: ضربة قاتلة مقتسمة بين القاتل والمقتول.

"احفظ القرآن الكريم في أسبوعين" "تعلم تجويد القرآن في عشرين دقيقة" "تعلم اللغة الفرنسية أو الإنجليزية في أسبوع، ومن غير معلم" "تعلم مهارات الحياة وفنون المعاملات في دورة من ساعتين" ظاهرة أقل ما يقال عنها أنها عبث بالعلم ووقاره وهيبته، ومهانة للحياة التي خلقت معلماً لا تتوانى في منح دروسها، لمن أراد التلمذ على يدها.. وجعي عليكم يا من حفظتم القرآن في أشهر أو سنوات، ويا من شققتم - زمناً - أكباد الإبل لتعلم القراءات، ويا من شابت لحاكم وأنتم تتعلمون اللغات، ويا من سقطت أسنانكم ورُددت إلى أرذل العمر.. وما زالت الحياة يعجزكم فكُّ شيفرتها..

وا حرَّ كبداه على من أمضى حياته بين الرفوف، ويا من تشققت ركبكم وأنتم تطوونها في مجالس العلماء، ومازال السائل يسألهم - وهم من هم! - فيقولون: لا أدري. وما قال منهم أحد إنه استكفى بعمره الذي أفناه في الطلب، وأنه بعد كل تلك الرحلة الشاقة الطويلة قد وصل.. أترى جيل السرعة والنت والمعلومة الجاهزة؛ أكثر حرصًا على الخير من أولئك؟! أتراهم أكثر ذكاء و "فهولة" ممن سبقهم، فاختصروا المسافات وتسلقوا المجد، ووصلوا بسرعة الضوء لمعانقة الذرى؟! عجبي.

● بثٌ متيقنة قبل أي وقت مضى أن القدرة على التمييز بين الحق والباطل ما هي سوى مرحلة أولية وشارة البداية على طريق النصر.. ما زلنا أمة الغثاء ما دمنا في مبعد عن الأخلاق، ومادامت الأحداث لا تفعل سوى إخراج مزيد من الأضغان والأحقاد والفرقة العمياء بين أبناء الصف الواحد.. جيل النصر: جيل علم، وعمل، وإخلاص، ومتابعة، وأخلاق تبهر العدو قبل الصديق.. نحن كمن استيقظ من غيبوبة طويلة، قد عاد إلى الحياة، لكنه مازال في فترة نقاهة.

فلسفة الذنب

(سهام إبليس، وحيائل النفس..)

- وكيف لقلب الضعيف الكلّ على مولاه ألا يتدنس بالشهوات ابتداء؟! هي الجبلّة والضعف المركب فينا، فلنسعّ للتطهير كلما تدنس.. ألا وإنا لسنا ملائكة مطهّرين.. فارحم يا رب تقصيرنا وتكالب الضعف على قلوبنا، واغفر يا رب ما زللنا وما أخطأنا، وما سجد القلب بين يديك نائبًا نائبًا معترفًا.
- إنها أعمالنا وحرصنا على المعصية كمنتقم من نفسه موبقها، متربص بها أن يوردها المهالك.. قد تأتينا النذارات، وقد نرى من تسخير الله لنا طرق العودة وطرائقها، ومن عليها يعين، ولكننا نأبى إلا الانتقام منها.
- ويا أيها المستلذ بما أنت فيه، الغارق في غفلتك وشهوتك واستعمائك.. لعل الغرغرة تسبق التوبة.. فلا تغتر بستر السّتر عليك.. لك يا نفس قبل أن تكون لغيرك.
- إن كنت ولا بد مذنبًا؛ فلا تستكثر من ذنب تصيب به غيرك أو تجره إليه، أو تتركه بعدك سيئة جارية.. واحفر لذنبك معك

قبرًا، ولا تترك خلفك ما يقال به عنك: مستراح منه.. اللهم عفوك وسترِكَ وحصنك من شر نفوسنا ومن شر الشيطان وشركه، ومن أن نقترف على أنفسنا سوءًا، أو أن نجرّه إلى مسلم.

• وبِتُّ أعلم أن الذنب قد يمنع صحبة الأخيار ومحبتهم لنا.. وتبقى لهم في سويداء القلب محبة نتوسل إلى الله أن تكون سببًا في رحمته، وجمعًا تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

• وكيف أشتاق للقياء ولرؤية وجهك الكريم، وقد عنا وجهي حياءً وكمداً وحسرة على تفريطي وغفلتي وتسويفي، وعلى غصة من هوى يستعبدني.. وعلى ذنب كبّلني بتّ تسترني فيه!!

• نذنب فنستوحش، ولربما ذاك الذنب لم يترك لنا نقطة حياء في وجوهنا، وكبّل جباهنا أن تطلع إلى خالقها، وقلوبنا أن تسجد بين يديه سبحانه، ولربما جرّنا إلى اليأس والقنوط.. ولولا بارقة الأمل تلك، بأن الله ربنا غفور رحيم؛ لشردنا ولغرقتنا في أحوال ذنوبنا، ولأنجبت المعصية معصيةً أكثر منها.

• أغلب من توغلوا في متاهات المعصية سقطت لم يعلموا بعدها كيف النهوض.. وتسويف وتسويغ ووعد كذوب بالأوبة..

أن تنحدر فتنبه فتتوب، فذاك طبع الإنسان فيك.. لكن أن تستمرى الانحدار وتستلذ بما أنت فيه، وتجعل للمعصية ألفَ مبرر كي تبقى متلبسًا بها، أو أن تعمي عينيك كي لا تواجههما بأنها معصية، وبأنها مخالفة لأمر الله وجرأة على محارمه؛ فذاك الذي يميّ مسمّى الإنسان فيك.

• "إننا نسدد ونقارب، يغرنا ستر الستير سبحانه، ويجرؤنا حلمه.. ولو أن لذنوبنا صوتًا لجلجلت به أقلامنا، ولو أن لها رائحة، لانسابت تزكم من حولها.. إنها هو ستر الستير، وحلم الحليم، ومنة المنان الكريم.. نسأله أن يستعملنا، وألا يستبدل بنا، وأن يجبر كسرنا، وأن يرحم ضعفنا، وأن يستر ما خفي عن أعينكم.

• بيت لا تقوى فيه، أهله شباعى حتى الثخمة من حبال الشيطان ومكائده.

• والمعصية على استقبحاك لها، وعلى اقتناعك حال العافية باستحالة ورودها عليك وورودك عليها؛ قد تتلبس بها، وتسقط في حبالها في وقت كنت تعتبر ذلك من المستحيلات، بل إنك لترى في نفسك قدرة هائلة على التصدي لها إذا ما داهمت حماك، واستعلاءً عليها، وجزمًا باستحالة أن يقع منك ذلك ما دمت تعلم أنها معصية وما دمت تراقب الله.

وقد تتكون لديك هذه الصلابة من تجارب سابقة لك أو لغيرك، ومن تقززك منها ومن ثقتك التامة في كرهك لها، وقبل هذا وذاك من حفظ الله، فإذا بها تتزين لك وتتبرج لك، وتأتيك في هيئة لم تعهد لها عليها، تغلق دون عقلك التفكير ودون عينيك الإبصار، فلا تسمع إلا نداءها، ولا ترى إلا صورتها، فتبرر لك ضعفك أمامها، وتغريك باقترافها.. وفي لحظة انهزام تام وانهايار أمام حيلها وضعفك، تجد نفسك في برائتها، فلا تستفيق إلا والحرقة تفتك بك، والألم النفسي لما رأيت منك من ضعف وخوار مصاحبك، والخوف من عدم قبول توبتك أو الموت قبل تحقيق ذلك؛ يكبلك.. فياليت شعري، حفظ منها ابتداء وعافية وراحة بال - والعافية أوسع لنا - أم دموع انكسار وحرقة وتوبة نصوح وحياء من الله وعزم على الحيلة وعدم العود أيهما يقرب العبد إلى ربه.

● **والوقاية:** اعتصام دائم بالله وسؤاله العون، والولاية، والكلاء، وألا يكلنا إلى أنفسنا وإلى الشيطان طرفة عين، وابتعاد عن أماكن المعصية، وعن كل ما يمكنه أن يجرّ إليها، فمعظم النيران من مستصغر الشرر. وما جنينا على أنفسنا إلا من استمرأنا الرعي حول الحمى، وأمننا الفتنة على أنفسنا إلى أن نرتع فيها حرم علينا.. قد تكون البداية غض الطرف عن

البداية، ثم استساغة وتمادٍ في التسويغ، حتى نألف المعصية، ونعطيها تبريراتٍ كي نمضي فيها مرتاحي الضمير.. والحي من رفضت نفسه الاستمرار، وألحت عليه تلك الأسئلة المتجذرة في أعماق الضمير: "من أنت؟ وهل ما زلت أنت أنت؟ وهل هذا المطلوب منك؟ منة من الله وتفضل عليه حينما عصمه قبل المعصية، وحينما جعل ضميره حيًّا يلح عليه بعد الوقوع في الرجوع، وتوبة منه - سبحانه - كي يرجع ويتوب.. أفلا يرجع ويتوب!؟

• وإن الذنب الواحد ليسلب النعمة، ويسرق راحة البال ويكدر العيش، فكيف بمن طوّقه ذنوبه!؟

• البعد عن المعصية منّة وتفضّل من الله على من يشاء من عباده، والوقوع فيها يذكرنا ألا نعلم دومًا على حفظ الله دون أخذ بالأسباب، وابتعاد عنها وعما يوصل لها.. لا حصانة لأحد في ديننا، ولا أحد أكرم على الله، ويستحق حفظه استحقاقًا.

• ليست المشكلة في الضعف في حدّ ذاته، ولا في السقوط والزلل، فتلك جلبة بشرية منذ أول غواية؛ إنما المشكلة في تجريد الحياء لله، والمصارعة للتوبة النصوح، ومحاولة جبر النقص ومتابعة الزلل ومواصلة مدافعة الهوى؛ فيها يسمّى العبد عبدًا.

• وتتشفوف وتتطلع، وتريد من كل ما تهواه وتهفو إليه.. أغرقها في التئيس تردعها.. نفسك.

• وكلما افتخرت نفسك بالطاعة، وتبجحت بالعمل، وسارت بك في طريق الاستكبار؛ ذكرها بغرقك في العصيان، واردع صولتها باستعراض هوانك وضعفك وسقوطك في برائن الذنب.. تلجمها وتجعلها لا ترى لها شأنًا لولا منّة وتوفيق الله.

• لو ما كان للذنب من عقوبة سوى الألم والوجل والخوف الشديد أن يقبض الله الأرواح قبل توبة نصوح وإصلاح، وأن يفسد عليك بذكراه نومك وأكلك وحياتك، ويمنع عنك طلب مصلحتك؛ لكفى بها عقوبة.. فكيف والأمر جنة أو نار وعفو أو نقمة ونعيم أو جحيم وقدم على الآخذ بالذنب المنتقم شديد العقاب.. وكيف وظلمة قبر ووحشة وعذاب أو نعيم.. وكيف ومن استترك متربص بك، مخلص في أداء عمله، جاد في الإطاحة بك لا يألو في ذلك جهدًا، ومالك من حصانة ولا عهد على الله أن يخلصك منه وقد ركنت إليه.

• الهوى غير مستعصم، والنفس شيمتها الأمر، والشيطان لا يحايي أحدًا.. ليس منّا من له حصانة، ولا حق على الله

مفروض أن يعصمه من الزلل.. إن هو إلا مدده وتوفيقه
وهدايته، ومنعه سبحانه.

ليست هذه دعوة إلى اقتراف الذنوب، ولا إلى تنحل الملائكية
والقداسة والتزيه؛ إنما هي دعوة إلى الإصاحبة إلى صوت
الفطرة داخلنا.. إلى إعمال الفكر في إنسانيتنا بعد الوقوع في
الذنب.. تعين الشارد على الأوبة، والمتعالي على الرضوخ
والإذعان. فربَّ ذنب يقربك من مولاك، يجعل قلبك
يسجد بين يدي القوي سبحانه معترفاً بضعفك، وبغلبة
شهوة نفسك المركبة جبلة فيك، تسأله أن يرحم فيك
ضعف الإنسان، وأن يغيثك من الأمانة بالسوء، وألا يكللك
إلى نفسك طرفة عين. ويجعل روحك تسجد لغافر الذنب
الرحيم التواب، العليم بضعف عباده، وبتلبس الشهوة بهم
وضعفهم أمامها، القابل لتوبتهم ولأوبتهم واستغفارهم..
وذنب يعرفك نفسك، ويجعلك تكيل لها الاتهامات..
يعلمك أنك مهما بلغت من مراتب العلم والتقوى؛ إنسان،
وإن أردت محاكاة الملائكية والسير في دروب النور؛ فطبعك
الآدمي غلاب.. يعلمك ألا تركز نفسك، وألا تتعالى على
الخلق بعلمك أو بأخلاقك، ويذكرك أنك مهما اجتهدت؛
فأنت معرض للابتلاء والتمحيص والفتنة، فيجعلك لا

تظن بنفسك خيراً، وتبتعد عن العجب والغرور.. يعلمك السير في دروب المجاهدة، وتكلف الإخلاص حتى يصير ديدنك، والتصبر إلى حين البلوغ للصبر، والتخوف حتى يصبح الخوف فيك جبلة، والتورع حتى يصبح الورع سجيتك، والتعفف حتى يصبح العفاف نهجك.. ونفسك المحبة للحق ابتداء، المتجاذفة بين الطاعة والعصيان، يمدّها النور تارة والظلام أخرى، هي نفس إنسان قبل كل شيء، نبتتها طيبة لكنها اجتُبلت، وأوشك الهوى أن يستعبدها، تطلع إليها وانفض عنها العتمة، جاهدّها.. اجلدها.. علّمها أن تسير على درب الوصول خاضعة خائفة منقادة.. وتبقى فلسفتك في التعامل مع الذنب بعد وقوعك فيه؛ الفيصل بينك وبين من حادوا وشرّدوا، وقطعوا على التوبة سبل الإياب.

سحائب الرجاء.. وشآبيب الرحمة..

(سياحة في معاني التوكل والرجاء واليقين،

ونهلٌ من معين أسماء وصفات الله عز وجل)

• ولولا الإيمان بالأقدار، لضاع نصف عمرنا في التردد بين "أقدم" وبين "تراجع" ..

ولضاع النصف الآخر كمدًا وحزنًا على أنك أقدمت يومًا، أو على أنك أحجمت.

• فإن عافت نفسك الدنيا، وتلظت بجحيم الحياة؛ فاعرج بها إلى أبواب القائل سبحانه: (من يدعوني؛ فأستجيب له، من يسألني؛ فأعطيه، من يستغفرني؛ فأغفر له)، واسر بها بقطع من الليل تعانق النقاء، ولا تلتفت إلا وأنت على الحوض.. تغرف غرفة لا تظماً بعدها أبدًا.

• نحن في حاجة - خلال رحلتنا - إلى من يعلمنا الإيمان بالأقدار، ومن يعيننا على القبول بها، والتعامل معها؛ أكثر من يعلمنا الحياة.

• بين نَفْسٍ ونَفَسٍ.. لا تعلم ما يحدثه الواسع ذو الخزائن..
ينحدر الدهول من سرعة استجابته، والدهشة من واسع
فضله، والتنبه لكرامات بشاراته دمعا تذرفه الروح قبل
العيون.. يُعجز اللسان والفؤاد عن اللهج بتراتيل الحمد
والثناء.. لك حمدٌ تُفتح له أبواب السماوات، ويتدرها
الملائك أيهم يكتبها الأول، ويعضل بالملكين، فلا يدران
كيف يكتبانه.. لك الحمد، ولك الفضل، ولك المنّة يا منان.

• ما سأل هباء - بأبي هو وأمي - ربّه الكريم أن يعيذه من
العجز ومن الكسل.. وإنك لترى الكأس بالقرب منك
سيسقط، فتعجز أن تحرك يدك كي تمنعه.. وإنك لتكسل عن
الفعل كنت تقوم به من قبل في خفة ونشاط وسرور، فإذا بك
عاجز عن تحريك يدك به.. وإنك لتعجز عن نفع نفسك إن
لم ينفعلك الله.. وأنت عليم بما يصلحها، خير بما يخرجها -
بإذن الله - مما هي فيه.. نسأله سبحانه العون.. وأن يعيذنا
من العجز ومن الكسل.. ومن شر كل ذي شر.

• لك الحمد؛ أنت الجبار، ولك الحمد؛ أنت الرزاق، ولك
الحمد والشكر والثناء الحسن؛ أنت العزيز الوهاب البر
الرحيم.. يحرثنا حلمك على الدعاء، وعلى الوقوف ببابك،
ونحن.. من نحن في الجرأة على المعاصي وعلى الهوان!

وأنت.. من أنت في مغفرتك وسترِكَ وحلمك، وفي انتقامك
وشدة عقوبتك.. نعصاك فتسترنا، وتَضيق علينا فنلجأ
إليك.. وكلما اشتد الامتحان؛ اشتدت حاجتنا إليك..
نسألك مسألة الفقراء المساكين المنكوبين، ونبتهل إليك
ابتهاال من سُدت في وجهه كُلُّ الأبواب إلا بابك.. نسترزقك
فيفيض الخير.. وننتظر فرجك بيقين مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ آتٍ، وقعد
ينتظر من أي باب سيدخل عليه، وعلم أَنَّ في المنع عطاءً،
وفي العطاء ابتلاءً، وفي الرضا سَكينة القلب، وعظم الأجر،
وراحة البال.

• يأتي فرج المولى أسرع مما كنا نتخيل، فإذا ما كنا نسجن أنفسنا
فيه ونظن أنه مستحيل؛ يطرق أبوابنا في الدقائق الأخيرة قبل
الاستسلام ورفع الراية البيضاء، والتوقيع على عقد الانزواء
والفرار.. أُنِيخُوا المطايا بباب الجواد الكريم، وفوَّضُوا
كُلَّ الأمر إليه، ودعُّوا الأقدار تحمل عنكم همَّ التخطيط
والترتيب.. وتيقَّنوا أن خلف كل باب مسدود في وجوهكم
مراعماً كثيراً وسعة، وفرجاً وعطاءً وجوداً.

• حمدُ الله على نعمة يراها الناس نعمة، واتفقوا على أنها كذلك؛
فضلاً وخيراً.. لكن تفردك بمعاني الشكر والحمد لما يراه
غيرك نقمة وابتلاء، وتراه لطفاً ونعمة وهبة قد أنعم عليك بها

اللطيف الخبير، وألهمك معرفة بعضٍ من تصرفات الحكمة فيها؛ نكهةٌ لا تعدُّها نكهة، ولذةٌ تجدُّ برُدِّها في فؤادك وعبقها في كلِّ ترتيبات حياتك، وحسنها كلما تدبرت في تصاريف قدرك وما قضاه الله لك.

• إن قدر، دبر.. سبحانه فاسع سعيك.. وفوض الأمر إليه.. واجعل قلبك يسجد بين يديه سجدةً لا ترفع منها إلا وقد حيزَ لك الخير كله.

• والكريم الجواد ذو الخزائن إذا منح.. أدهش.. واسع فضله، وكرمٌ منتهٍ يُحجِّل المسيء المذنب الفقير لعفوه وجوده، ويُعجز اللسان عن شكره.. فيا لفرحة كتلك التي ألجأت الأعرابي السادر في البيداء - من اندهاشه، وقد تقطعت به الأسباب، وهو ينظر إلى راحلته، وقد عادت من غير حول منه ولا قوة - إلى أن يحاطب ربه بحال فرحته ودهشته، ولسانه قد اختلطت عليه الكلمات.

• ذو مال وسلطة ونفوذ، ولا يجد أدنى حرج في أن يرد من استنجد به أو ألجأته الظروف إليه، إذ لا يرى في نفسه اضطرارًا لفعل ذلك، بل كلما زاد عدد المحتاجين إليه؛ زاد غرورًا وعلوًّا واستكبارًا.. وربنا الجواد - له المثل الأعلى - يفرح بمسألة عباده، وهو الغني عن مسألتهم، ويحيب من

وقف ببابه ولو كان كافراً.. ذو خزائن الجود والكرم، ومعين
العطاء الذي لا ينضب.. سبحانه.

• وتنتفس الصعداء، ولا نفهم لم هذا الإحساس المفاجئ
بالارتياح.. نبحت ونبحث عن السبب، فإذا بنا تحررنا -
فعلاً - من عبء مسئوليات كُنَّا نظن أننا قادرون على إرغام
أنفسنا على تحملها، فإذا بالإحساس بالحمل الثقيل جاثم
على الأنفاس يكبلنا، ولو أنه ما زال مجرد مشروعات قادمة لم
نباشرها بعد.. تضيق شعاب التنفس.. تسهر العين.. تتبعثر
الخطى في إلحاح مستمر أن ننقذها ونعتقها مما لا طاقة لها به..
نحاول أن نرتب أوراقنا، وأن نقدر في أذهاننا المآلات، وأن
نضع طاقاتنا موضعها، لكن سرعان ما نغمض أعيننا عن كل
شيء، ونمضي.. فيأتي لطف اللطيف - سبحانه - بأمر خارجي
يمسح عن أعيننا الضباب، ويواجهنا مع المرأة، وينزل قدرتنا
منزلاً.. فيكون منّا الارتياح، وشكر اللطيف على لطفه.

• لا يجعلنك الركض في دروب المجبولة على الأكدار، تغفل
شكر الحكيم - سبحانه - على ما أعطى، وعلى ما منع.. ولا
تظن أن خبرتك تكفيك للاختيار.. ركعتان تبرا فيهما من
قوتك وحنكتك، وتفوض بهما كل أمرك للحكيم العليم
سبحانه؛ يكفيانك هم الاختيار.

• ماذا لو طالت مصاحبتنا للشعور بالاستيحاش وبالغربة، وفقدنا - إلى الأبد - العون والسند، وتيقنًا من أنه لا راحم ولا مجير ولا ركن يأوينا إليه؟ ماذا لو لم يكن ولينا الله، يأوينا ويكلؤنا، ويغدق علينا من لطفه ووُدّه، وبرّه، والرحمات؟ اللهم لك الحمد؛ أنت الرب الصمد الجليل، ولك الحمد أنت اللطيف البر الرحيم الودود الولي الجميل.. ولك الحمد أن رضيت بنا عبيدًا لك.

• قلوبنا المثقلة بالأحزان، إن لم نسر بها بقطع من الليل نسجدها للكریم واسع العطاء؛ فلن تدرك الفجر.. يا أيها المنتظرون تربيتة من حبيب أو مواساة من قريب.. يا من مدّوا أبصارهم لمن حولهم، يتشوفون لكلمة تثني عنهم الأحزان، أو لمكالمة تبارك أو تعزي أو تسأل لكم الفرج والسلوان، اعرجوا بها إلى ذي خزائن الجود الرزاق الكريم الوهاب، فارج الكربات.. هناك كلؤكم، وهناك ولايتكم، وهناك سكينه القلب، واستعادة وهج الحياة.

• الحمد لله أن خلّقنا عبيدًا لرب كريم، جواد رحيم، لا يؤاخذنا بذنوبنا وتقصيرنا، ويرينا بالنعم، ويفرج كربنا، ويستجيب دعاءنا.. ما لنا سوى تعليق بصرنا وبصيرتنا بالسماء.. وترقب الفرج والفرح من أي الغيمات سيهطل علينا.

● تحاول تتبع الرخص، والبحث عن حل لمعضلتك بالتخلي عما تدين الله به، والعدول عنه إلى رأي المخالف، تحسُّ بوخزٍ في قلبك، وبعدم ارتياحك.. تسأل الله الفرج، وتدعوه بحرقة أن يجعل لك من أمرك مخرجًا، فيسخر لك سبحانه - من حيث لا تحتسب - من يجعلك تثبت - بحول الله وقوته وفضله ونعمائه - على مبدئك، وعلى ما ترجَّح عنك مما اختلف فيه، بل ويمدك سبحانه بكرمه وجوده بالبدائل الشرعية، وبمن يتكبَّد لأجلك عناء مساعدتك على تطبيق شرع الله.. فاللهم لك الحمد، ولك الفضل، ولك المنَّة، ولك الثناء الحسن.

● هي أرزاق.. فسبحان من خلق وفرق.

● ويا رجائي يوم ألقاك، كيف ألقاك.. وكل زادي رجاء؟! استرني يا ستير.. واجبر - يا جبار - كسري.. وأغنني يا قوي من غرقي في لجج ضعفي.. وأمنن علي بتوبة تجب ما عُلبت عليه، وما بارزتك به، ودسيستي، وما أخفيت عن أعين الناس.

● من لطف الله بنا أن ينجِّنا من الإحساس بالخذلان في الوقت الذي يخطط فيه من حولنا لإثخاننا جرحًا وإيلامًا.. ثم تمر الأيام لنكتشف أننا - فعلاً - نجونا بأعجوبة من خيبة كانت ربما لو

صادفناها في أوانها وهي بعد "طازجة"، وفي ظرفنا الذي كنا فيه
أحوج ما نكون ليد حانية؛ لربما كانت نسقتنا وحطمتنا.. لكنها
الأنفاس. ابتسم، وقل: لي رب لطيف رحيم، يتودد لي بنعمائه،
ويجعل لنا من بين حصائد الشوك مروجَ وردٍ، وبسط أمان.

نفوسنا المائجة المضطربة المتقلبة بين الفرح حيناً وبين الأتراح،
وبين الأمل وبين اليأس والإحباط؛ هي نفوس تَوَاقَة - رغم
كل شيء - لموهبة المعطي الوهاب: للطمأنينة والسكون
والوقار.. تثبت القلب الخائف المضطرب، وتقوي اليقين
بفارج الكربات.. فاللهم يا وهاب، أنزل علينا سكينتك،
وأفرغ على قلوبنا صبراً، واربط عليها.

الطمع نعمة، يجرتنا على الانشغال عن ضعفنا وذنوبنا بما عند
الله؛ طلباً ودعاءً وضراعةً، ويقيناً في كرم المعطي المنان.

وحتى وإن نفعوننا.. فإنما قد سخرهم الله لنا. وحتى وإن
التمسنا عندهم الفرج، فمن باب اتخاذ الأسباب فقط،
أما القلب فتمسك بأهداب الرحمة والفرج من مفرج
الكربات.. سبحانه.

لا لذة تعدل اجتماع الهم على دين الله، والتفاف القلب حول
آية يرشف من معانيها، وينتشي بعبق السكينة والخشوع،
فيتقلب بين قشعريرة ولين.. ولا ضنك أعتى من تفرق

القلب عن أي ربه، تحاول جاهداً لأَمْ شتاته، وجمع شمله؛
فيأبى إلا التفرق بك عن السبل والمتاهات.. اللهم اجمع
شمل قلوبنا على دينك وعلى كتابك الحكيم.

• وكلما أنف الفؤاد من شحّ النفوس، واستوحش من جفافها؛
تاقت أرواحنا العطشى إلى غَرْفة من حوض معلم الناس
الإنسانية في أجمل صورها، والحب في أرقى معانيه.. عليك
من ربك أزكى الصلاة والتسليم يا خير الورى.. اللهم آمنا
به ولم نشهده، واتبعناه - على عرجنا وعوجنا - ولم نره،
اللهم فلا تحرمنا لقاءه على الحوض، ولا تجعلنا ممن بدّلوا
وغيّروا فحيل بينهم وبينه.

• له المنة؛ أمهلْ وغطّى وستر، وأتم برّه علينا بأن صرف
أرواحنا عن الموت كمدًا وحسرة على التفریط، وشغلنا
بمسألته، والافتقار إليه عن مواصلة متابعة الزل
والعيوب.

• حقّق عبوديتك لله، وثق في عطائه ومدده؛ يهيئ لك الأسباب،
أو يبلغك حتى من دونها، أو يعطك على ما تراه أنت سببًا
لعكس ما تريد.

• ومن لطف الله سبحانه، أن يشغلك بنفسك ومعايها عن
الغرق في عتابهم وتأنيبهم.

• ولا أجدي أكثر غبطة لأحد - غبطة تسح بسببها الجفون، ويعتصر القلب المشتاق - من رؤيتي لمن يسكنون ببلد الرسول الكريم، ومن يمرغون أنوفهم في أتربة الكعبة، ويشربون هنيئاً مريئاً من ماء زمزم، ويناجون ربهم في صفاء وسكينة تاركين وراءهم حطام الدنيا الملعونة إلا من ذكر الله وما والاه.. ما أحوجنا إلى الفرار إلى الله حينما تضيق بنا السبل.. ما أحوجنا إلى حرارة الرجاء، وإلى برد اليقين؛ يضخ في عروقنا دماء جديدة كي نستأنف المسير.. لكّم نحتاج إلى رحلة نور تندأخ فيها نسّم الأنس بالله.. تحفّنا فيها الرحمة، ويدثرنا كرم الله.. اللهم لا تحرمني بدنوبي. اللهم سجدة بين يديك في بيتك العتيق لا أشقى بعدها أبداً.. اللهم وكلّ من ذاب قلبه شوقاً لبلدك الحرام، وتاقت نفسه لمعانقة النور.

• وأعظم من بلوغ النعمة، استشعارها ومتابعة مقام اللطف والحكمة والود والجود والتفضل فيها.

• يفارقه الولد الحبيب إلى مصير مجهول، ويؤخذ الثاني في دين الملك، فيصبرّ نفسه بنفسه ويعزيها ويسليها.. ويتنظر الفرج واللطف من أرحم الراحمين.. يشكو، ولا يشكو لهم حقيقة، وإنما يشكو بثّه وحزنه إلى الله، ويدلّهم على مراتع اليقين، ويغلق دون اليأس الأبواب.. ويمسّكهم بحبل الله المتين

ويذكّرهم - وهو أحوج ما يكون إلى التلقين - بإلههم وما يعبدون من بعده، ولا ترتاح له روح إلا وهم يتلون عليه شروط الولاء لشرعة الملك الديان.. تلك قلوب الخُلص الصادقين حينما يباشرها النور، وتسبح في أنداح الثبات واليقين، ما لها سوى قمصان البشارة، والبصر بعد العمى، واللقاء بمن شطّ بهم النوى، والعيش الكريم في أعلى عليين.

• "وأجأت ظهري إليك" قد اعتمدت على الحائط بظهرك فأسندك، وأجأته إلى كرسي فدعّمه، فما بالك ومن أجأت إليه ظهرك ووكلت إليه كل أمرك: ذي القوة المتين، العزيز الرحيم، اللطيف الكريم سبحانه.. له المثل الأعلى.

• وأنت تتخطفك المجريات من حولك.. قف، تريث، تفقد قلبك.. فأما الدين فقد تكفل الله بحمايته وإظهاره ونصره.. وأما قلبك الموكل بك، فليس لك من دونك - بعد الله - من يتولاه، واحذر - في لحظة ضعف - أن تيأس، أو أن تفقد الثقة في الله.

• أيها الألم الباسط ذراعيك بأبواب كهفي، تقرض فؤادي ذات اليمين وذات الشمال وهو في فجوة منك، وتحسب شعاع الفرح قد أزاور عن عيني، لو اطلعت على رحمة قد نشرها لي ربي، ولطف قد هيا لي به أسباب الفرج؛ لوليت عني فراراً، ولملئ قلبك من أملي وثقتي بري رعباً.

• تلك اللحظة الفارقة التي تصنع المؤمنين.. في لحظة عتو واستكبار.. وركون للقوة والجبروت والحشد العظيم.. ابتلعه الموج، ولم يكن له من الله عاصم.. وفي لحظة استسلام ويقين ورجاء، كانت النجاة، وكان لطف الله.. وكان الطريق وسط الماء، والنصر بلا قوة ولا عدد إلا ولاية الله.. إنها لنعمة أن ينتصر التوحيد على الشرك، واليقين والاستسلام على التجبر.. وشكر النعمة طاعة.. فيا أيها الصابرون، استحضروا معاني التوحيد في قلوبكم، واستبشروا بنصر الله لعباده المؤمنين.. وَلِيَهْنِكُمُ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ.

• قد نقسو على أنفسنا حينما نستكشف أننا أسأنا الاختيار.. وقد نفقد الثقة في كل من حولنا.. لكن لنحذر أن نفقد الثقة في أنفسنا، فنحن بنا وبالله قبل ذلك، وليس بهم.

• أحسست بأن الكل قد خذلوك، وانفضوا من حولك؟ سمعت الشهانة بأذنيك، ورأيت القطيعة بأم عينيك؟ كبلتك الشهوات وأسرتك الذنوب؟ كلما عزمتم على التوبة تخطفتمك السبل؟ تكالبت عليك المحن وطوقتكم الهموم؟ علمت أن كل الأسباب قد انقطعت بك؟ تأملت ضعفك، وتيقنت من قلة حيلتك؟ خذ البشارة: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان) (فاستجبنا له ونجيناه من الغم

وكذلك ننجي المؤمنين) سمع الرسول - ﷺ - رجلاً يقول:
 (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد
 الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: لقد
 سألت الله بالاسم الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعِيَ
 به أجاب). مرغ أنفك في سجدة، واستعن ولا تكل ولا تمل..
 فربك الله الرحيم القريب الجميل.

• أتدري معنى أن تفوض الأمر لله؟ يعني أن تنتظر ولايته
 وفرجه، وأن يدبر كل أمرك.. يعني أن تبرأ من حولك
 وقوتك إلى كنفه وحوله.. يعني أن ترى بعينك لطفه وكرم.

• **(حسبنا الله ونعم الوكيل)** إن قلتها؛ فلا تبعرها حروفاً مفرغة
 من معانيها، ولا تنطق بها بالعادة وبما جرى على اللسان، وبركة
 الفعل التي هي أفضل من غيرها وأولى، لكنها خاوية من
 استشعارها، واليقين بها: حسبنا الله: وكيلنا وكفيلنا وكافينا،
 الضامن لأرزاقنا، معتق أرواحنا أو قابضها، الذي من كان له
 كان حسبه.. الحسيب سبحانه (العليم بعباده، كافي المتوكلين،
 المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق
 أعمالهم وجليلها) (تفسير الطبري) حسبنا الله: نكتفي به ناصرًا
 دون من سواه، ونعتمد عليه ونثق فيه، كافي المتوكلين عليه
 همومهم وغمومهم، ناصرهم وإن كانوا قلة ضعفاء أو غثاء

مستضعفين. ونعم الوكيل: نعم المدبر الحفيظ لخلقه القادر على ذلك (المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي يتولى أوليائه فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور) (تفسير السعدي) إذا ما صدحنا بها، فلنستحضر كل هاته المعاني، ولنفرِّغ فيها كل لوعاتنا وكل أحزاننا وكل آمالنا وأمانينا، وليكن استشعارنا لها، وبقيننا بها وفاءً زادٍ نبُلِّغ به رحمة الله، ونستجلب بها كلاًه ونصره وولايته.

• يتيلي ويعافي، ويقدر ويلطف، ويمتحن ويمد.. سبحانه.. نفرح بمعافاته بعد طول محنة، ونتشي لفرجه بعد طول ضنك.. وتبقى العبرة والدرس.

• قد أصلح بينك وبين الناس، منّة وتفضلاً.. وشكر المنّة؛ أوبة وتصبر على الطريق.. فاهرع إلى إصلاح ما بينك وبينه سبحانه.. ولا تتكل على دوام عفوه وسره.. فإن الستير يفضح، والغفور يأخذ بالذنب.. وإذا ما غفر وصفح، أمهل ولم يهمل، ومدّ في أجل التوبة.. أنرجع أم نبقى في غينا؟ ومن يؤت البصيرة فقد أوتي خيراً كثيراً.. والحكمة نعمة، وكفى بها نعمة.

• وقد يفوتك ما يفوتك من أمر دنياك مما كنت قد انهزمت أمام ضعفك البشري، وعصيت الله للحصول عليه، فمَنَعَكَ الله وصرفه عنك، ومن لطفه أن أظهر لك الخبايا، وجعل انصرافك

توبة وأوبة تتملق بها مولاك أن يغفر لك بها ضعفك، لتبين بعدها أنك كنت متعلقاً بالشيء الخطأ الذي ما كنت - لو كتبه الله لك - لتحصّل به خيراً دنيوياً ولا أخروياً، وما كنت لتهنأ به لما تبين لك بعد الانصراف أنه لا يليق بك.. فاحمد الله اللطيف أن صرفك بذلك عن السوء وعن معصية كنت ستزيد غرقاً فيها، واحمده على لطفه إذ جعلك تكره ما كنت من قبل تهفو إليه، وقطع تعلقك به كي لا تتألم، وجعل قلبك يبصر العافية واللفظ، وحكمة الحكيم في العطاء وفي المنع. وتيقن من عطائه الوافر ولو بعد حين لأنك رضيت بقضاء الله وانصرفت عن معصية الله رجاء التوبة والمغفرة، وطمعاً فيما عنده - سبحانه - مما يصلح لك وما يصلح حالك به.

● دعوة بجوف الليل يسجد فيها القلب سجود الشاكرين الطامعين في خزائن رحمة وجود رب رحيم كريم جواد.. يغتسل فيها القلب قبل العين من أدران سوء الظن، ومن شح المجبولة على التقدير.. وتسرج الروح الظمأى في ملكوت محب الدعوات، جاعل تواتر الفرج والشدة سنة كونية تقلبها بين الصبر والشكر، وتشحذها بالرجاء واليقين وحسن الظن بالله وبما عند الله.. يا رب كرمك الذي أنت أهل له، وجودك الذي وعدت به عبادك الموقنين، ويقين يجبر كسر القلب الكليم.

- لو أن بنا من قوة وجلد وحكمة؛ لانصرفت قلوبنا حال المحنة من النظر في تفاصيلها إلى تدبر عواقبها، واستشعار لطف الله الذي يصلنا بلطفه ورحمته من حيث لا نشعر، وولايته لنا سبحانه يكلؤنا ويحفظنا، ويرعانا ويسخر لنا من عبده من يخفف عنا ومن يمشي في حوائجنا.. لكنه الإنسان الكنود المجهول على الضعف.. فاللهم أصلح لنا شؤوننا كلها، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.
- الاستخارة تعبدُ الله بالتوكل عليه سبحانه قبل القضاء، وبعد القضاء إنما التعبد بالرضا.. فاللهم إنا نسألك الرضا بقضائك، وبعد قضائك.
- دعوني أخلو بربي.. أشكو له ظلمًا وفقرًا.. وحاجة ما قضاها لي أحد منكم، ولن يقضيها..
- دعوني أسكب الدموع الحرّى على ذنب خفي عن أعينكم، وزلة أبت إلا أن تكبلني، وحرقة على وقت يمضي، وعمر يفنى.. وعلى خطو يتعثر كلما رُمت المسير مرة بحثًا عن الطريق، وأخرى بحثًا عن الرفيق.
- دعوني؛ فلي ربُّ يحميني، ويأويني، ويجبر كسري..
- لك الحمد أنت الرحيم،
- ولك الحمد أنت المحيب،
- ولك الحمد أنت الجبار.

- علمت أننا نُرزق وإياهم، وأنهم يرزقون وإيانا، وعلمت أن الرزق عطاء الله، وعطاء الله لا يطلب بالحرام والمكر والخذية، ولا يؤخذ بحال غلاباً.. وعلمت أن رزقي ما كان لأحد أن يسلبه مني، وأن ما ليس برزقي فليس لي فيه بحال نصيب.. وعلمت أن الفسحة والسعة في البركة، وليس في الكم والعدد.. وعلمت أن ليس كل الرزق مالاً، بل هناك أرزاق أفضل بكثير من المال.. ومنها نعمة الإيمان بأن الرزاق كريم جواد حكيم في عطائه ومنعه.. وعلمت أن الرزق ليس استحقاقاً، بل هو تفضلٌ وجودٌ من ذي الفضل الجواد.. فلاطمئن لما أعطى ولما منع..
- وقد نُحرم بعض الرزق ويُسلب منا حتى لا نألفه، فتغيب عن ألسنتنا معاني الشكر للوهاب سبحانه.
- رزقك قد كفله الله لك؛ فاسع إليه بالحلل، فإن ما بيد الله يُطلب توسلاً وانكساراً، ولا يؤخذ بحالٍ غلاباً.
- دمعة.. أم دمعة.. دمعة فرح بولاية الله ولطفه، وفرجه ونصره، فتجعلك تخر ساجداً شاكراً. أو.. دمعة حزن أو ألم يئز منها صدرك أزيزاً، فتلهج شرايينك - ولو لم تنطق - حمداً وصبراً وتسليماً.. لا تدري أيهما تملأ ميزانك، وترفع درجتك، وتزيدك من الله قرباً.

- وفي الحياة.. كم نحتاج إلى إعادة النظر في مسؤولياتنا ومهماتنا.. تنتهي مهمة لتبدأ أخرى.. وفي خضم الأحداث وتضافر التغييرات، ننسى مهمتنا التي لأجلها خلقنا: العبودية.. وحدها تنسينا هموم الحياة، وتذكرنا أن الذي شَرَّفنا بعبادته - سبحانه - حرَّم على نفسه الظلم الذي نكتوي به من العباد، والخذلان الذي يصلوننا به.. والقهر والاستبداد والتسلط الذي يغرقنا في لججه.. سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.
- مشكلة يعييك حلها، تردفها أختها.. تضيق نفسك ولا تعلم أن الله قد يجعل في المشكلة الثانية حلًّا للأولى.
- حقق عبوديتك لله، وثق في عطائه ومدده؛ يهيئ لك الأسباب، أو يبلغك حتى من دونها، أو يعطك على ما تراه أنت سببًا لعكس ما تريد.
- إذا تيسرت لك طاعة ساعة؛ فاعلم أنها هو توفيق ذي المنة.. فكم من ساعات تمر عليك دون أن تشغل بشيء، وكم مرة احتجت فيها دقيقة فقط فلم تسعفك.
- الحمد لله ألم يكن في ديننا صكوك غفران، تختص بها زبانية ممن ظنوا الحق لا يخطئهم، والصواب لا يخالفهم، حتى إنهم من كثرة تنزيههم أنفسهم، زعموا أن في قلوبهم شيئًا قد وقر

كذاك الذي وقر في قلب الصديق رضي الله عنه.. وإلا لما
تاقت نفوسنا للجنة، ولا استراحت قلوبنا للتوبة، ولما سرج
الفؤاد طامعاً في كرم وجود مولاه.. فالحمد لله أن ربنا الله
سبحانه، الودود الكريم الرحيم الرؤوف التواب.

• بين التملق والافتقار، وبين تحقيق الشكر؛ دروب الصدق
وفتائل اليقين بأنه سبحانه ما منعنا إلا ليعطينا، وما أعطانا
إلا لنشكره.. فلتتفقد الصدق واليقين في أنفسنا، فلعلنا من
قبلهما قد أوتينا.

• كلما تودد الحزن لي، وظن أنه من وصلي تمكّن، نفثت الأنفاس
ذاك الجرح الذي بألوان السنين، قد تضمخ وتلون..
وخشعت روحي لمن قدر ودبر، ومن الخوف والروع أَمَّن.
• لولا الإيمان بالقضاء والقدر؛ لانقطع منّا الوتين حسرة
وكمداً على خيبتنا في المجبولة على الأكدار.

• يحسبهم الجاهل غرقى في اليأس، لكن حرفهم ينفث الوجع،
وقلوبهم معلق بمن قضى وقدر.. يرجون فرجه، ويأملون
عفوه، فاللهم أنت المطلع على قلوبهم، الخبير بسرائرهم؛ فرّج
كربهم، وأزل همهم، واجعل ما يعانونه في موازين حسناتهم.

• هل مع الدعاء ولطف الله.. مستحيل؟! ما زلت أذكر ذلك
النص باللغة الفرنسية الذي كنا نُدرّسه لطلبتنا والمُعَنون بـ

"عملية جراحية مستحيلة". وهي قصة زوجين وقعت لهما
حادثة سير في مكان ناءٍ عن المدينة، وأصيبت الزوجة بردود
خطيرة في الجمجمة، وبينما كان الزوج يحاول إسعاف زوجته؛
لمح مصباحاً من بعيد، فحملها إلى حيث انبعث الضوء لعله
يحظى بمساعدة أحد. دق جرس البيت؛ ليفتح له رجل مسنٌ،
وينخره بإمكانية مساعدته؛ فقد كان طبيباً متقاعدًا. وتحكي
القصة أنه قام ببعض الإسعافات الأولية بيد - جدٌ مرتعشة
- مخبراً الزوج بأنه قد أصيب بداءٍ يجعل يديه ترتعشان. وبعد
تشخيص للحالة، قرر أن المرأة في حاجة إلى عملية مستعجلة.
حينما نقل الرجل زوجته إلى المستشفى، أخبروه أن إصابته
جد خطيرة، وأنها في حاجة إلى عملية مستعجلة، وأن تلك
العملية التي تحتاجها لا يحسنها سوى طبيب واحد في كل
المنطقة، لكنه الآن متقاعد، وحركة يديه المرتعشتين تمنعه حمل
أدوات الجراحة فضلاً عن استعمالها. وهكذا تقفل القصة على
هذه النهاية التعيسة، والتي سببها عملية مستعجلة.. لكن
مستحيلة. كنت حينما أقرأ هذه القصة، ينقبض صدري،
وأحزن لحال الرجل قبل حال المرأة، إذ هي على الأقل مغيبة
عن الوعي غير دارية بما يجري لها، أما هو فقد كان في موقف
لا يحسد عليه، فلا العلاج مفقود بالكلية فيستسلم، ولا متاح

فيسعى إليه.. وأنا أتذكرها الآن، خطري أن أحمد الله على نعمة الإسلام، وعلى نعمة عبوديتنا لربنا الله اللطيف الرفيق الرحيم بعباده، المجيب لدعائهم، الفارج لكربهم، شافهم ومعافهم، الطبيب الشافي سبحانه.. فهل كنا لنشقى بدعاء ربنا، حتى وإن تعرضنا لأسوأ الابتلاءات، ويأسنا الأطباء من حياتنا فضلاً عن عافيتنا، وهو القائل سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، والقائل - جلّ من قائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨١)، والقائل على لسان نبيه - ﷺ: (إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه، أن يردهما صفراً) صححه الألباني. هل كنا لنقرر استحالة تحوّلنا من المرض إلى العافية، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الفقر إلى الكفاف والغنى عن الناس، ونحن نعلم أن خزائن جود ربنا لا تنضب، وأن شربة ماء زمزم، ودعوة صادقة بقلب ساجد لمولاه، طامع في رحمته ولطفه، موقن بإجابة محجب الدعوات؛ كفيلة بأن تجعل المستحيل ممكناً والبعيد قريباً.. تحول خرائب الآلام في قلوبنا إلى رياض مزهرة.. فاللهم اهدنا للدعاء باسمك الأعظم، الذي إذا دُعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت.. اللهم وفقنا

لتحري أوقات الإجابة، واستجب يا مولانا لدعائنا.. واشف مرضانا كما شفيت عبدك أيوب بعد طول سقم، وفرج كربوب عبادك الحزائى كما فرجت كرب يونس ويعقوب، واربط على قلوبنا كما ربطت على فؤاد أم موسى.. يا رب.. يا رب.

● لا أنس لنا إلا بقربه، ولولا حلمه علينا وستره - سبحانه - لنا لما تجرأنا على المعاصي.. فإلى متى نستمرى العرج وحياء الدون، ونحن نعلم أن القدوم على منتقم شديد العقاب؟! وإلى متى ندغدغ نفوسنا ونربت عليها ونعدها بمغفرة الغفور - سبحانه - وهي مقيمة على ما هي عليه؟! ساعة وساعة.. وساعتي اليوم في جلدها، عساها ترعوي وتكف عن التمتع.

● من أجل العطايا وأعظم الهبات أن يؤتينا الله - سبحانه - الحكمة: علم نافع، وبصيرة مسددة، وعقل رزين، وإصابة الحق والصواب في الحال والمقال والفعال، وتنزيل الأحكام موضعها، ومعرفة ما يصلحنا فنلزمه، وما يضرنا فنقلع عنه، ونبتعد عنه.. اللهم نسألك باسمك الحكيم أن تؤتينا الحكمة والموعظة الحسنة والبصيرة.

● حاشا أن يحيب الله من تعلق قلبه به - سبحانه - ، وتقلب في معرفة صفاته وأفعاله، وعلم حق اليقين أنما الضر والنفع، والمنع

والعطاء بيده تعالى، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.. من كان ذاك حاله، فالله يكفيه ويأويه ويعينه، ويمده بقوته ونصره وولايته.. وإنك لترى ثمار استخارتك وتفويضك أمرك له - سبحانه - ولو بعد حين.. فقط، ثق بأن القدير العليم اللطيف لا يخيب من استخاره، ولا يختار لك إلا ما فيه خيرك.. واعلم أن سجدة قلبك بين يديه تسأله الغوث والعون والمدد؛ كفيلة بكرم الكريم ومنة المنان أن تقيك شر نفسك، وشر من يترصون بك، وشر من يريدون العيث في حياتك فسادًا.. كن دومًا مع الله؛ يكن لك ومعك.

• اصنع كهفك، واختم به منهم ومنك.. من نفسك الأمارة، ومن هوائك، ومن أولئك الذين يرومون سحبك للهاوية.. اصنع كهفك، وأو إليه كلما ضاقت بك رحابة الحياة، واختلطت في قلبك المشاعر، وتشابكت الأحداث في نفسك ككبة خيط منقوضة.. يؤتك الله من لدنه رشدًا، وتستفرد بنفسك التائهة الماثلة بين إقدام وإحجام، وينشر لك من الرحمات ما يبلغك به المأمّن.. اصنع كهفك؛ فزحام الحياة يسرق منك الإنسان.

• كلما أحسننا بتضاؤلنا وصغرنا؛ استشعرنا كبره، وكلما أحسننا بضعفنا؛ استشعرنا قوته، وكلما أحسننا بفقرنا؛

استشعرنا غناه.. سبحانه. وكلما استشعرنا حَوْلَه وقوته
وغناه وفضله وكرمه؛ أنخنا المطايا ببابه، وسجد القلب
يسأله من خزائن جوده.

• اللهم لك الحمد على نعمة النوم.. ينقطع فيه وعيك عما يدور
حولك، ويزيل أثر الحزن والفتور، ويجدد النشاط ويمنح قوة
على مواصلة مواجهة الحياة.. فاللهم يا قائل: (إذ يغشيه
النعاس أمانة منه)؛ أنزل علينا سكينتك وأمتك، وتغمدنا
برحمتك، ولا تحرمننا نعمك بذنوبنا.

• إذا خالَجَ اليقِينُ القلبَ المُتَرَعِّعَ بالأوجاع، وسكن الفؤاد الوائق
في كرم مولاه؛ جعل الله له بصيرة لا يرى بها إلا هو، وعيوناً
تنشع عنها أستار الحقيقة، وكشف له عن بعض أسرار لطفه
سبحانه، فتقلب بين النوائب والأدواء مستشعراً رفق ربه
ولطفه ورحمته سبحانه، وانقذ في ذهنه من العبر ما لا يفهمها
سوى من جاد الله عليه بنفس القلب وبنفس البصيرة.. وكفى
بها نعمة لمن عرف حق النعمة.

لجلجة الصمت

- يشيخ الصمت، فيسلم السُّدَّة للثرثرة.. تتسرب الحروف بحثاً عن نقطة تغلق بها أبواب السطر.. فتصطدم بكلمات تائهة فيه.. حبل بتفاصيل صغيرة، تبحث عن حقها في ملء الفراغات المنسية..
- الصمت يجعل أفكارنا تتشكل كما نريدها نحن، لا كما يجب أن نفهمها من الآخرين.
- لا أحد يعرف سر الصمت ولا كيمياء الخفوت.. لا أحد يتقنه كما أولئك الذين اعتادوا على الثرثرة والبوح العميق.. لا يتقن الصمت إلا من يتقن الكلام.
- لا تندم على أنك تدفقت بالكلام.. فلربما تندم يوماً أنك لم تتكلم حينما كان الكلام متاحاً، والبوح مباحاً.
- وما صمتك بأقل وقعاً من جعجتهم وصهيلهم.. أحياناً لا شيء يطفى حرائق ضجيجهم من صمت دفين.
- أحياناً يكون اختيارنا الصمت؛ لأنه لم يعد هناك ما يقال، وأحياناً لأن الكلام لم يعد ينفع، وأحياناً نخشى عليهم من عتابنا أن يكون سبباً في جرحهم وإيلامهم.

- مصلوبون نحن على مقاصل الكلام، نستجدي السكون..
- فلا الصمت يشفينا.. ولا الكلام يروينا.
- بعض الصمت يعطل لغة الصمت، ويحرف أبجدياته،
- ويمنع منه الصدى.. فلا يصلك منه سوى وشوشات مشفرة
- يبعثرك فكها.
- لا تعول على الصمت كثيرًا.. فالصمت كما اللغة العربية
- حمال وجوه.
- بليغ ذاك الصمت الذي يرغمك على الإصغاء لطرقاته الواجمة.
- حينما تقرر أن تصمت؛ أفهم أنك قد حددت مساحتك
- الخاصة بك، وبأنه ممنوع علي أن أرتع في حماك.. أعذرك..
- وحينما تحدد حماك.. فلا تثريب علي إن أنا أيضًا فعلت..
- فاعذرنِي.
- العتاب حياة.. والصمت موت بطيء.
- حينما تخرس الألسنة عن اللوم والعتاب؛ فليس لأنه ليس
- هناك ما يقال أو ما يعتب عليه، ولكن لأنه لم يعد للكلام
- جدوى، ولأن الفؤاد لم يعد يحتمل اجترار الألم.
- كم في الحياة من أشياء تكره الصمت أو الاختصار.. تحب
- التطويل والإطناب والتفصيل والإكثار.

• والصمت أحياناً انتقام.. وبعضه رمح مكسورة في الأحشاء،
إن أنت رمت انتشالها، انتشلت معها الروح.. وإن تركتها،
جرعتك الموت قطرات.

• بيني وبين الصمت عهد لا يخلفه.. أن يغدر بي حينما أكون في
حاجة إليه، فيزفني للثرثرة.

• بعض الناس يصارع أبجديات الكلام، يحاول أن يستجمع
حروفه لينفث فيها الوجد، فتهرب فائرةً منه تماماً كما يهرب
منه تشخيص الإحساس.. وكلما حاول الإمساك بها؛ طارت
محلقة تعاند السحاب.. وبعضهم ينازل الصمت.. عبثاً
يتحایل عليه.. عبثاً مجرد الحرف من معانيه، ويلزمه بالخفوت
وبالتخفي، فيأبى إلا التبخر والتبرج.. يحاول للممة أسماه
العنيدة المتحينة فرصة المثل بين يدي الحقيقة.. فتنبت في
الحلق حصائد الكلمات تدمي بشوكها المقلتين.. فتنبت منها
ومن نتوءات الروح، ومن دهاليز الشريان.

• ولأن الأمر كان أبسط من أن يُشرح.. وأعوَصَ من أن يُترك
دون ذلك.. ولأن ما الشرح سوى محاولة بارعة في إيغال
الأمر في الإبهام.. كان صمتي.

• وللصمت حكايا.. تشبه - أحياناً - إطراقة الشجر بعد أن
عبثت الريح العاتية الغادية بوريقاته وأغصانه، وما ناب

الجدعَ سوى نفص حبيبات الرمل الرقيقة عنه، وتكوم
أخرى حوله تعضد منه الجذر.

● لا تلوّموا ثرثرةً باتت تثبت للروح أنها مازالت تستجدي
الحياة.. لا تلوّموا من لم يعد يتقن طقوس الصمت.

● وكيف نطالب غيرنا بفهم صمتنا.. ونحن قبلهم لا نفهمه؟!
● بعض الصمت هروب.. وبعضه بداية النهاية.

● المواجهة رحمة على كل حال.. والصمت في بعض الأحيان
قسوة.. وأية قسوة!.

● لئن أبى الكلام أن يكتب قصائد النشوة وتباريح الفرح؛ فدع
الصمت يعزف لأجلك ألحان الربيع يلونها بألوان القوس.

● ذلك الصراخ داخلي يسرق مني السكون.

● أكثر ما يرعبنا من الصمت أن نعتاده، فتنتهي فينا الحياة
بموت الحبر مشنوقاً على الشفاه.

● مات الصمت مختنقاً.. كل شيء قد تم في غيابه.. والبتلة التي
ساعدت منقار العصفور على اختطافها، احتضرت اليوم
مرتين، مرة وهي تفك جدائل الليل كي تنظر من خلالها إلى
الإشراق.. ومرة وهي تواري جثمان الصمت.

ترانيم قلم

(ملكة الحرف)

والحرف بستان إذا أهملته

خضر المعاني حوله تتكسر

والحرف بركان إذا أيقظته

جمر اللوى في حذقه يتمور

- قالت: وما الكتابة؟ قلت: احتراف الاحتراق.
- نحاول أن نتخلص من الواقع بالكتابة؛ فنكتبه.
- من السذاجة أن تقرر أن تكتب.. أن تأخذ قلمًا، وأن تحاول أن تصوغ.. إذا لم تتدافع الكلمات داخلك وتتسارع في محاولاتها المتكررة من أجل التحرر من سجن أعماقك؛ فلا خرجت ولا لونت بياض الورق.. نحن لا نكتب، نحن نُكتب.
- الحياة التي كنا نروضها بالكتابة قد أعلنت العصيان.. علمت أننا نشقى منها بجرعة حرف، فحرضته انتقامًا على التمرد.
- الحرف أحيانًا اعتذار عن تلك الأشياء التي لم نقم بها، وعن تلك التي نحن على يقين أننا لن نقوم بها.

- قد تمارس طقوس الحياة مرغماً.. لا تفعل مع الكتابة!
- تحينوا ساعة ألم الكاتب، فإنه يكون أكثر إبداعاً وتدفقاً.. أو أقول لكم.. امنعوا عنه الخبر وأوقفوا عنه تلاقح الأفكار.. ستضجركم ثرثرته.
- يعيش الأديب الحياة بكل عمق، فإن تمنعت؛ قصفها بقصة أو بقصيدة شعر.
- كل الأشياء التي يتقنها الصمت، تستعصي على الكتابة.
- رعدة القلم التي تصيبك على حين غفلة منك فتجعلك تكتب أكثر مما يجب، وتبوح بالذي شأنه أن يدثر.. طريقته المثل في اعتناق الحياة.
- جفف الشعر قطعة.. قطعة، وبيتاً.. بيتاً، كما تجفف العذارى الورود تحتفظ بها في دفاترهن، واملأ به وسائدك لليلي التي يتمنع عليك فيها الحرف.
- وآفة اللغة.. العجز أحياناً أمام الفيض.
- يضيق الصدر بزفرة.. ينفضها حرفاً يتطاير فلقاً.. تبعر الأنفاس شظياته.. تنثر أحلاماً.. تغيض في فسيفساء الروح.. تضيق بها الجوانح.. تبددها حرفاً.. ينسكب فوق الورق نرجسة وعقد ياسمين.

- وأعتى السجون.. حينما يكبل الألم القلم.
- بعض القصائد جماها في عدم الاكتمال، تمامًا كما تلك الروايات التي يترك الكاتب خاتمتها مفتوحة؛ كي يُحمّل القارئ عبء النهاية، ويقتسم معه جريمة وضع النقطة بعد كل انتهاء.
- ونكتب ونتحدث ويعلو صخبنا.. فكأنما تلك العبارة التي منها شفاء الروح وراحة النفس لم ندرکها بعد، ولم نجد بها بعد قواميس البوح.
- وجع أن ترى روحك مصلوبة على مقصلة حرف.. وأعمقك تجهش من وثب الكلمات، وتقافزها لتنشئ مسمى قصة.. والسطور قد استشاطت غضبًا تشحذ أوتارها؛ كي تحطفك إلى ما ورائها. والأكثر وجعًا، أن تلتقي بقطع روحك الممزعة التي نثرتها ذات وجع حروفا وكلمات، وأن تضطر إلى الأنين كلما أعدت القراءة.
- أنا أكتب؛ إذًا أنا أمارس حقي في الحياة.
- رشق القلم يناوشني؛ فأحمل هم تلك النافورة القابعة بين الحنايا تود أن تندفق كلمات.. نفسها تلك الكلمات التي إذ تود إخماد الثورات تؤججها.
- نحاول أن نكتب أوجاعنا.. فتكتبنا هي.

• جمال الكلام أحياناً كثيرة ليس في كونه يحمل شيئاً غير معروف، ولكن في كونه يحلل الأشياء البسيطة، ويجلي مرآة الحقائق المألوفة.

• القراءة التي توسع مداركنا، هي نفسها التي توسع هوة ألم الإحساس بذواتنا.. تجعلنا أكثر قرباً من أنفسنا ومن الألم.. أن تكون مثقفاً عبء يضاف إلى أعبائك الشخصية المعتادة.. تصبح أكثر تحليلاً لدقائق ما يمر حولك، أكثر استشعاراً للذة وللوجع.. تتضخم مشاعرك وأحاسيسك، وتمنعك فلسفتك في الحياة أن تقبل بالبساطة.. تصبح كائنًا متوترًا حساسًا لأبعاد الكلام، ولأبعاد المواقف.

• الكلمة أمانة ومسئولية.. إذا أنعم عليك المنعم - سبحانه - بحسن البيان وبحلاوة اللسان، ويسر لك أمر إيصال كلامك للناس؛ فاحرص على ألا تطعمهم إلا شهداً، وألا تخلط لهم السم بالعسل، وألا تمرر لهم من خلال كلامك سوى ما ينفعهم، وينفعك يوم تلقى الله.. واحرص على انتقاء عباراتك، وعلى الرقي بالمعاني.. وعلى جعلهم ينهلون من الجمال المرسوم بإتقان على لوحاتك المعروضة لهم.

• حظ الكلمات منك وحظك منها، أن تعزف بها تارة قلب سوناتا، وأن ترسم بها تارة لوحات تجريدية، وأن تصنع منها جناحين

يخلق بك إلى ما وراء درب التبانة، وأن تنسج منها وشاحًا يحميك من الصقيع تارة، ومن الحرائق المشتعلة في صدرك تارة أخرى.. وأن تجعل سرك في روحها، وروحك في سرها.. وأن تثبت لنفسك عبرها أنك هاهنا.. مازلت تنبض حياة وحرًا.

● لا أرى كريمًا جوادًا سخياً بمعايير الدنيا من الأديب!.. كل عبارة وكل كلمة، بل كل حرف ينبس به إنما هو نثار قلبه، وعصف شريانه، وجزيئات وجدانه المتشظية أُلماً لنفسه ولغيره، وفخرًا بنفسه وبغيره، وأسى على نفسه وعلى غيره.. أحاسيسه لا يلم شعثها ولا يفكك شبكها، ولا يمسح بيد الحنان والعطف عليها، ولا يخمد حريقها المشتعل في أحشائه؛ سوى ندى كلماته ونسيم حروفه.

● الكتابة حياة داخل الحياة.

● لا تبحث خلف الأديب، ولا تحاول إدراك من يكون.. اسمه شعار، وحرفه دثار.. ويهجه - جدًّا - أن يجعلك - كلما اقتربت من حقيقته وحاولت الإمساك بها - ترجع إلى نقطة البداية عالقًا في خيوط أسلتك التائهة الحائرة.. حقيقته فقاعة هلامية متشعبة بأنفاس طفل يرفعها الريح أمامك تلاحقها بعينيك وبكفيك، حتى إذا ما ظننت بأنك أمسكت بها، ووثقت من ذلك؛ فتحتها على فراغ منها.

- يصبر القلم على أن يكتب كل شيء، وأن يذيع كل شيء.. كل الستائر التي تدر الروح يهفهفها صريره.. نحتاج إلى شنته من حين لحين.
- ينوء الحرف بالاحتفاظ وبالفيض.. فيسلم سطوته للصمت.
- أغلب الموءود من حروفنا، تلك التي خضعت لمنطق العقل.. ولرقابة الأنا.
- أعشق الأناقة في كل شيء، وترتاح ذائقتي للحسن الجميل من الكلام المنتقى بعناية، المصفوف كأنه قطع روح متأنقة مطرزة في لوحة حائطية تحت إنارة خافتة تسحر العين والفؤاد.. ولكم آنف من ذلك التكلف والتبذل، واختيار تلك الصور التي - وإن كانت من البلاغة ومن البيان، وتشبيهاها تَنَمُّ عن ذكاء كاتبها - إلا أن معناها سمج، تعافه الخواطر، وتتكرر منه النفوس، وتخدش بزمجرتها وتقعرها واختيارها البذيء من الصور؛ الهدوء والرقى والأناقة.
- الشاعر الذي حرر قافيته، مات مبطوناً بالمعنى.
- ما لا يعلمه القارئ أن بعض ما يكتب؛ قطع من الروح معلقة في مشائق الحرف، وبأن الدمع الذي يذرفه وهو يقرأ إنما هو دمع الكاتب يخرج تارة في هيئة ماء، وتارة في هيئة حبر.
- وأحياناً نسبح خارج الحرف.. كي نعود لنغرق فيه.

• على قيد الحرف.. أحياء.

• بعض ما تسطره خواطرننا قد يكون محض خاطرة، أو التقاطة قد غنمتها مما تراه حولك.. لكنها لا تأخذ معناها وعمقه إلا إذا صارت واقعاً. فرق بين توصيف الألم والحديث عن الرضا بالأقدار، وأنت في مبعد عنه، وبين أن يكون هذا التوصيف عن عيش حقيقي لهذا الألم وتشبث بالحال والمقال على ما يعينك على الرضا بأقدار الله.

• أي جرم يقترفه الكاتب، حينما ينبش أعماق القارئ فيفصد تلك الأشياء التي ركنها في زاوية من ذاكرته، يظن بذلك أنه قد نجح في نسيانها، فإذا بها كما المارد قد خرجت بلمسة مصباح.. يذكر الغافي الذي أصبح يتقن طقوس إغماض عينيه عن تلك الأشياء المرغوبة المستحيلة، فيستفيق كما المجنون بضربة حجر، لا ينشد سواها، ولا يبغي من دنياه إلا ذلك المحجوب المتجاوز بإغفاءة.. تتبرج كلماته للمحروم، فتفتح عينيه عن حرمانه، وتوقظ أحزان المكلوم النائمة.. وتواجه من زعم الشجاعة والبراعة في تجاوز الأوجاع بمرآته، التي لا تكذب.

• صرت أعتق اليقين من أن اقتحام بعض الحروف بعينها مجازفة.. مجازفة خطيرة أن تقتحمها وأنت تعلم بأنك إن أنت فعلت فإنك لن تعرف بعدها سبل الإياب، وبأنك لن تعود، وحتى

وإن عدت فلن تعود أبداً كما كنت قبل أن تقتحمها؛ لأن الكثير من أبعاضك ستبقى عالقة هناك.. مصلوبة في جدار أزرق مشنوقة بصدق الكلمات.. أبسمل وأخطو بعيني اليمنى، وأرتل كل التعويذات.. أبحر بين المرايا المنتشرة الموزعة بين الحروف.. أقابلني بين السطور؛ فأبتسم لي وأعانقني، وأعاتبني في منحرف أو في زاوية، أو خلف صدى الكلمات.. أبتسم تارة، وأعلق تارات في دمة قد نزت من شباك المعاني.. أحاول بعدها أن أستكين، فلا أستكين.. أدون دساتيري، وأرقم قوانيني، وأقرر ألا أقتحمها مرة أخرى.. فأفتح عيني على روعي ماثلة هناك بين الحقائق الموجهة، ولهب الأحلام المغادرة وصدق الكلمات.

● جميل ذلك البوح الحزين الذي يرسمه الحرف.. جميل وشجاع.. والأجمل ذاك الذي مازال كامناً.. يتعثر بين الحروف، وتدثره الكلمات، ويختبئ في لفافة شريان.. ذاك الذي تنوء به العبارة، وينوء هو بشجن الروح الغافية.

● وأغلب ما يدعوك للتفكير، بل يفرض عليك التفكير؛ الصراع والاصطدام: تصادم الأفكار في رأسك، وتصادمك مع الأحداث.. مع الممكن والمستحيل، مع الخير والشر، مع الشك واليقين، مع الفعل ورد الفعل.. مع الواقع والخيال،

مع الإمكانية والمحدودية، مع القدرة والعجز.. مع الإقدام والإحجام، فتحاول ترتيب الفوضى التي تكتسح رأسك، وفك شعث ما تداخل فيه؛ فتنتج بذلك فكرًا.

- القراءة أحياناً أنانية.. مهرب من الحياة والمسئوليات، ومناسبة للانفراد بالروح، وإنقاذها من صخب الحياة.

- لا خير في حرف لم تسقه الدموع.. ولا خير في بوح لم ينتجب شوقاً ورجاءً وتعلقاً بالغد الجميل.

- لا ترغم نفسك على الكتابة والبوح، إن لم تخرج الحروف طائعةً راغمة منقاداً مناسبة؛ فلا كانت ولا خرجت.

- ما بين الموت والحياة صرخة.. وقطرة حبر.

- لا تسأل كاتباً عن مراده من خاطرة.. سيشرح لك كل شيء، وسيهديك كل قواميس المعاني الممكنة وحتى غير الممكنة.. إلا تلك التي أنشأها لنفسه، وجعل لها شفرة لا تفتحها كل الأرواح.

- سألتني: متى يسمى الكاتب بليغاً؟ قلت: حينما يستطيع أن يعبر عن نفس المعنى بصور بلاغية مختلفة، لا تقل جمالاً في كل مرة عن سابقتها أو تفوقها، ويقتدر على أن يصير تارة رساماً يرسم لوحات مخملية بحرفه، وتارة موسيقاراً يعزف المقاطع الموسيقية بشدى كلماته.

● جوعى ويطعمني الحرف.. قبل حرف الرواية كلام رب
رحيم منان، علم الضعف في عباده، وجوع الروح للأمان
فهدانا بمنه لنور القرآن.

● الشاعر يتميز عن غيره بذلك الصفاء والشفافية،
والاطلاع على عوالم الأعماق، التي تجعله يعيد صياغة
الواقع والحقيقة بشكل وجداني لا يفهمه ولا يتذوقه إلا
شاعر مثله، أو ذو حس مرهف ومشاعر عميقة. أما غيره
ممن استهوته المادة، وطغى عليه التجريد، فلا يرى فيه غير
طلاسم وشيفرات لا يهتدي بحال إلى فكها.

● وهل للحقيقة معنى في ذاتها حتى يكون للشاعر حقيقة في معناه؟
إنما يصنع الشاعر حسُّه وإرهابه، ورؤيته المتفردة النافذة، وعالمه
الخاص به الذي يداهمننا من وقت لآخر؛ ليوقظنا من ثرَّهات
الواقع وجفاء الواقع، فبحر معه عبر مخيلته وخيالاته لنصنع
للحقيقة معنى للحقيقة.. فدعوا الشاعر يعبر بنا أدراج الخيال
والأوهام والحس المرهف، يسبر بنا أغوار أعماقنا الأسنة، علَّنا
نفهم جزءاً من حقائقنا الغائرة الغابرة.

● الأديب كائن من ضوء.. هو جوهر محض، ولفافة مشاعر،
وعصارة حس.. هو كائن "مشاعري" من فصيلة يعجز
العلم عن تصنيفها: جنونه رجاحة عقل، وعقله خلاصة

قلب، وعينه عدسة لاقطة، وأذنه رشاخة حس مرهف..
وقوده حرف، وكنزه حرف، وعملته حرف، وفخره حرف،
ورواء ظمئه حرف.

الكلمة:

كلمة ترفع صاحبها درجات، وكلمة تهوي به في جهنم.. كلمة
تجمع روحين وقلبين، وتبني أعشاش السعادة، وكلمة تفسخ
عقدًا وتشتت شملًا، وتجعل الأخلاء من بعد الوفاء أعداء..
كلمة تنبعث من روح طيبة، تجعلك تحلق في سماءات النقاء
والصفاء، وكلمة خبيثة من روح خبيثة تعكر صفوك دهرًا،
وتجعل قلبك ينفطر لسم تنفته في عروقك.. كلمة ترفع أقوامًا،
وأخرى تسقطهم وتذلهم.. إنها الكلمة.. مسئولية، وعهد،
وأمانة.. ومراة لأخلاقنا، وللبادئنا.. فلننتق كلماتنا بدقة.

العودة إلى الكتابة عودة إلى الحياة..

وحده الحرف يحمل عنا الأشجان.. وبعض الأرواح الشفيفة.

ليس بالضرورة أن يكون سبب احتفاء الكاتب بإصدار له
إحساسه بالتفرد أو بالعبقريّة، أو بأن ما كتبه قد أتى بما لم يأت
به من قبله، بل قد يكون بسبب قطعة من روحه قد صلبها
حرفًا بين ثنايا كتاب، فتراه يخشى عليها من الخدش، تمامًا كما
يخشى أن تزهق من بين ضلوعه.

قالت؛ فقلت..

- **قالت:** وما الربيع؟
- **فقلت:** زهرة برتقال تضيعت حيناً، ثم غاض عطرها في لجج الرحيل، وبحار النسيان.
- **قالت:** أترى يفيد الزهر بعد رحيله حزنُ الربيع، ولوعة الأغصان؟
- **فقلت:** الزهر إن رحل أو إن غاب عقبه، ما همّهُ أن يحزن عليه من كان سبباً في رحيله.. وما همّهُ ألا يحزن أو يبالي.. الزهر حينما يفقد ذاكرة العبق؛ يفقد معه الشعور، والإحساس.
- **قالت:** وما الخريف؟
- **قلت:** أوراق لم يعد يطاها الرواء، فقررت أن ترحل.
- **قالت:** وما الشفق؟
- **قلت:** دم الشمس المغتالة من مسافة الصفر.
- **قالت:** والعزلة؟
- **قلت:** طب القلوب، وهدأة النفوس، وقصُّ لأجنحة الأحلام العنيدة كي لا تطير بنا.. وعيش للأحداث بكل الوعي، وبكل الحس الذي فينا.

● **قالت:** والوحدة؟

■ **فقلت:** حمقى، من يظنون أن الوحدة غربة، وأن الانفراد وحشة.. الوحدة أن تجد نفسك مختَرَقًا بالجموع.. فتبحث عن ملاحك في مراهم فلا تراك.. أن ترى نظرة الاستغراب تنزّ من جفونهم، وهم يرون مركبتك القادمة من خارج المدار قد حطت بالقرب منهم.. الغربة أن تتحدث فيما لا يحسنون الإصاحه إليه، وأن تضطر إلى الاستماع إلى ما لا تحسن أن تراه.. الوحدة، أن تمضي ما تبقى لك من سويكات تضفر جدائل المستحيل، فأرًا من أن تلقاك، رافضًا أن تفهم أنها الأُنس عطاء، وأنها السكن والسكينة بذل وجود وتضحيات.

● **قالت:** وما الغربة؟

■ **فقلت:** الغربة أن تلجئك الأوطان التي لفظتها إلى أن تظلي مقيمة بين سجونها، وإن تنازلت عن هويتك وسلمت في وطنيتك، وهاجرت.

● **قالت:** واللامبالاة؟

■ **فقلت:** اشتعال متدثر ببرود مفتعل، يكشفه الإغراق في التصنع. قالت: فإن زاد؟ قلت: غرق في الصمت الصامت.. ذاك الذي يحولك إلى مجرد شريط أحمر.. تمر أحداثك عبره، دون أن تعنيك في شيء.. ويحول الزمان والمكان إلى اللاحث.

● **قالت:** وما الحرية؟

■ **فقلت:** أن تصبح ذات قرارٍ حاسم مفرغاً من كل شيء، حتى من أحلامك.. لا يكبلك سراب، ولا يسجنك انتظار، ولا تقبع في زاوية ترتب العهود والمواثيق.

● **قالت:** وما التعاسة؟

■ **قلت:** أن تأتيك الأنوار متراقصة تداعب عينيك.. فتتوارى منها بغمضة جفن.. تخشى أن تصيبك منها نفحة.

● **قالت:** وما الحزن؟

■ **قلت:** خيبة مختزلة في انقباض ودمعة.

● **قالت:** وما الـغبـن؟

■ **قلت:** هدية من السماء طال انتظارك لها، وإذ يثقل كاهلك الاحتفاظ بها، تختار أن تفقدها.

● **قالت:** ألا تستطيعين السفر؟

■ **قلت:** وهل المرافئ تسافر؟

● **قالت:** أحزنها لأجل السند؟

■ **فقلت:** أرأيت - يوماً - ظلّاً يبكي ألا جدار يسنده؟

الظلال لا تبكي.. الظلال تتسلق الجدران.

● **قالت:** عجيب أمر المحب.. كيف لا يصفح عمن يدعي حبه؟

■ **فقلت:** وأعجب منه شأن الكرامة، كيف يدوسها من يدعي المحبة.

● **قالت:** فإن داس كرامتها؟

■ **فقلت:** لم يدخل بعدُ جنتها، ولم يجد ريحها.. وإن ريحها ليوحد من مسافة سنوات ضوئية.

● **قالت:** متى يكون الضعف فيها جميلاً؟

■ **قلت:** حينما يعبر فيه عنها بـ "رائعة"، وليس بـ "مسكينة".

● **قالت:** خلت المرايا من الابتسامات!

■ **فقلت:** كيف للبسمة أن تحترق المرايا، ونحن كلما حرثناها شردتها الرياح!

● **قالت:** والأحلام؟

■ **قلت:** لحظة مستقطعة من الألم، نكبح بها من حين لحين براثن الموت البطيء.

● **قالت:** يثقلني الوفاء!

■ **قلت:** تخففي منه يا صديقتي.. واعتنقي الحرية.. لا وفاء لألم، ولا للأحزان.

- **قالت:** وما الأرق؟
- **قلت:** حلم عصي شارد بارد.. كمدينة عربية أرهاقها الموت.
- **قالت:** قد كثرت الأمنيات، وتشعبت الأحلام؛ فكيف لي أن أرتبها؟
- **قلت:** دعي النبض يفعل ذلك.. سيحمل عنك عناء الترتيب.
- **قالت:** وما الانتظار؟
- **قلت:** قطعة عود مرشوش بهاء زهر يحترق على مهل.
- **قالت:** وهذا الظل المنكفي في الغرفة؟
- **فقلت:** ليس ظلاً.. تلك جثة المساء المحنط بتواشيح الغروب.
- **قالت:** وهذه الأنهار؟
- **فقلت:** دموع امرأة قد أفنت عمرها تنازل المستحيل، والندى حبات عرقها وهي تعد الخسارات..
- يا لتعاسة الورد! ما الذي يغسل جذره من ملح مدامعها؟ ما الذي يكنس عنه حبات الندى كي لا تصيبه لعنتها؟
- وكم يكفيه من حلم كي لا يفقد ذاكرة العبق؟
- **قالت:** وهذا الصمت؟
- **قلت:** وسيلة اللغة للتعبير عن العجز أمام الاكتظاظ.
- **قالت:** وما الاكتظاظ؟

■ **فقلت:** أن تمتلئ بك وبغيرك وبرونة الحياة؛ حد الذهول..
حد المجاوزة.. حد احتراق الكلام داخلك.

● **قالت:** وما النجوم؟

■ **قلت:** شرارات الأرواح المكلمة، يسترها النهار، وينشر الليل سرّها.

● **قالت:** وما اليقين؟

■ **فقلت:** أن تنظري للطف وللفرج بعين الواصل من مولاه..
وقد أعجزه السبب.

● **قالت:** وأكبر الغبن؟

■ **قلت:** أن تتبه على انتهاء فرصتك في الحياة.. وأنت تبذر في المكان الخطأ.. حتى إذا ما التفت إليك وإلى ما حولك، لم تسمع سوى خشخة أوراق الخريف تحت قدميك، تأبى إلا أن تذكر بك وبهبوب رياح تشرين.. وبوقع أقدامك مولياً.

● **قالت:** وكيف لي ألا آسى على ما فات، وألا يشتعل صدري حزناً وكمدًا بعدما نرضح - قهراً - للمآلات؟

■ **قلت:** استنزفي نفسك يا صديقتي في الإصلاح.. قدّمي كل الممكنات وكل المستحيلات من توضيحات.. استميتي في الدفاع عن حقك في السعادة، واطرقي كل أبواب الصلح، واركني

كرامتك جانباً فليس وقت إعادة ترتيب أوراق حياتك وقتها..
فإذا ما استنزفت - هباء - نفسك في تنظيف طريقك، واستنفذت
- عبثاً - خططك في إعادة تعبيدها، فحينها - وحينها فقط -
عليك تحويل المسار.. وحينها - وحينها فقط - كلما راودك
الأسى، غلقت دونه كل الأبواب.

● **قالت:** وما الأمل؟

■ **فقلت:** انهماك في الحياة.. لتعتنقي الأمل يا صديقتي.. وإلا
فانهمكي في الموت.

● **قالت:** والهزيمة؟

■ **فقلت:** أن تطيل الوقوف بين يدي الأطلال، وتدمن المثل
مصلوباً على أعتاب المستحيل، ثم تمضي ما تبقى من شيب
هارباً من كل شيء.. بدءاً بذاتك.

● **قالت:** ما بال بسمة الفجر باهتة؟

■ **فقلت:** حريٌّ بها أن تبهت.. أليس الفجر سليل الليل، قد
سُلخ منه قهراً، واضطره الإصباح إلى أن يُفطم؟ ذاك ألم
الرحيل.. يذرفه بسمة.

● **قالت:** أمازلت تكتين؟

■ **فقلت:** وكيف أثبت لنفسي أنني مازلت على قيد الحياة؟

● **قالت:** وما الصباح؟

■ **قلت:** بعثرة الأمنيات على جناح فراشة.. وتلوحة للشمس كي تستمد وهجها من براءة ابتسامتك، وشدى جميل يلهم العنادل؛ فتتعلم الشدو من ألحانك. قالت: ثم دعاء بتحقيق الأمنيات، ويقين بالإجابة. فقلت: قد سبق الدعاء الإصباح.. قد اغتسل بومض النجم، والتحف بتواشيح الأسحار.

● **قالت:** لماذا نطيل المكث بيت الأحران، بينما باب الأفراح خالية؟

■ **فقلت:** الحزن رصين، والفرح نرق.. رعشته راحلة، ونشوته عابرة.. هلامي كما الزئبق.. كما فقاعة هواء.. نضم عليها أكفنا ونفتحها على خلو منها.. ومضته كما المنارات، تدلنا على المرافئ، ولا تشغل نفسها بأن تضيء لنا كل الطريق.

● **قالت:** وما الهروب؟

■ **قلت:** غنيمة.. فـ "الفرار في وقته ظفر"

● **قالت:** وما الألم؟

■ **قلت:** انتقام الروح من الروح.

● **قالت:** وتلك البحة في صوت الليل؟

■ **قلت:** تراويل الأشجان.. يتهدج بها صدر السماء.

بشريات.. وشذى الأعطيات..

(نستبشر؛ كي تكون لنا البشري..)

كم عشت أرقب من بشارات المدى
سألوى ينمناها العبير فأنتشي
ونصبت أفخاخي أميل من المنى
حلماً ألوذ بطيفه لا أختشي

● الشمس التي أحرقت جفونهم، أخبرتني أن في مفرق الصخرتين زنبقة.. وحفنة نور قد بعثتها ترعى تُؤججها كي لا ينكسر.

● **قالت:** أراك متقلبة بين حزن وشجن، وبين أمل وتفاؤل؟
فقلت: هل يمنع الحزن الدفين من أن نستبشر كي تكون لنا البشرية؟ وهل يمنعنا الاستبشار من أن نتألم؟ ابضت عيناه - عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام - لفراق الحبيب وقال يا أسفى، وتولى وهو كظيم كميد كئيب، وقال (وأعلم من الله ما لا تعلمون)، فهل أثنائه الحزن عن الأمل فيما عند ربه الكريم الجواد؟ وقال قبلها: (عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً)، فهل

أثناء أمله ورجاؤه في لقاء أبنائه، وفي فرج ربه؛ عن أن يحزن ويتألم؟ الآلام لا تبرح من كان له حس، والأحزان والخيبات سُنّة المجبولة على الكبد والنصب، ونحن متقلبون بين بسمة وزفرات وبين نشوة ودمعات، وإذا ما صفت لنا ساعة؛ فعلياً أن ندرك أنها إلى غيوم وكدر، وأن الأصل في الحياة الهمّ والغم والمصائب؛ حتى لا نركن إلى الدنيا، ولا نستعذب صفاءها المؤقت، وحتى نتوق أنفسنا إلى دار السعادة الدائمة، ونكون دائمي الأهبة والاستعداد لما تلقىه الأقدار في طريقنا، متوقعي الاصطدام بالخيبات؛ حتى لا نتلقاها تلقي المعتوه الذي يفرع لسماع قطرة ماء منحدره فوق زجاج نافذة.

• يُغلق بابٌ.. يُفتح بابٌ.. هذا هو الترتيب المنطقي للأمر حولنا.. نحتاج فقط أن نطمئن إلى حكم المولى واختياره.. فبعض ما نشبث به من مشاريع وأحلام، قد يمنعه الله عنا كي يهيئنا لما يصلحنا ويصلح لنا.. وبعض ما نعمي عنه عيوننا، نختار عنه غيره، قد لا يعدو أن يكون رزقاً طيباً سهلاً ميسراً، لا يستنزفك الحصول عليه، ولا يكبدك الخسائر والهزائم أن تحظى به.. فقط، لنرضَ بما اختاره الله لنا، ولتطبّ نفوسنا بأقضيته وأقداره.. ومن أوصد دونه أبوابه؛ بقي أبد الدهر خلفها.

• ويحدث، أن ترى كل الدنيا حولك مرتبة منمقة مزهرة، وأنت تتشوق عبر زهر البرتقال.. وأريج الكلمات.

• ليس للأحلام ولا للدعاء تاريخ صلاحية.. من حظنا!
• تائهة هي الأحلام التي لا تجد لها مرفأً يحتضنها بعد طول سفر.. تائهة شريدة حسيرة.. لكنها تظل ترتقب ومضة من منارات الفضاء، تمامًا كما تشوّف المرايا المهجورة لعيون باسمة.

• ثمة أمل لا ينتهي.. ذلك الذي يطرق بابك كلّ صباح، ويتنحى قليلاً منتظرًا أن تفتح له.. يستأذنك.. فإما أنك تنتظره كما ينتظرك أن تفتح، وإما أنك قابع في صمتك ترقب الأمل الجميل، الذي سيأتيك في يوم جميل لا تعلم ما هو ولا متى سيكون.. تنسج اليأس بخيوط الانتظار، وتوشح الخيبة بالتماهي مع الظلام والانكسار.. الأمل اقتحام.. منك قبل أن يكون منه.

• وما الحياة إن لم نكن لنعيشها بعمق في كل تفاصيلها؟ وما عيشنا إن لم تكن لكل لحظة آنية عندنا اتساع مساحة لحسن استقبال ما تلقىه الحياة في طريقنا؟

• خذ حفنة من آذار، ضوّعها بعقب زهر البرتقال، واغتسل وروحك من بقايا الغيم.. لعلها ولعلك تبتان من جديد.

- نهرم حتمًا ساعة عبوس، ثم إذا ما ابتسمنا عدنا أطفالًا.
- بعض الفرحة قد لا تعدو أن تكون إطلالة زهرة برتقال من شباك نافذتك تزف لك الربيع.
- نفكر حتى يعجزنا التفكير، لكن المدبر الحكيم يدبر - سبحانه - فرجًا أكيدًا لنا.. ما خلقنا ليضيعنا، وما ابتلانا ليعذبنا.
- أن تغمض عينيك وتفتحهما، فترى أن كل شيء حولك أصبح يشبه وجه الصباح، وعطر الصباح ونقاء الصباح.. أن تماسك كي لا تغرد قبل استفاقة العصافير، وأن تحجب نورك كي لا تُحجل خيوط النور.. أن تنظر للمرأة فتراها تبسم، وأن تسكنك الحروف فتمتزج بالشران.. أن تشذب قليلًا جناحيك كي لا تطير، وأن تعتمد على روحك كي تُبقي قدميك يلثمان أديم الأرض.. أن تتسارع بين شفتيك الكلمات، لا صبر لها على الترتيب، تلهج بحمد وشكر مغير الأحوال.. (كل يوم هو في شأن)
- في أحداق الفجر تنبت الأمنيات.. تلك التي سقتها مدامع النجم.
- شرّع كل أبواب أحلامك، وعانق الأمانى، وانفث الوجد ثلاثًا عن يسارك.. قد جعل الله لكل شيء أجلًا، والكرب لا بد مستوفٍ أجله، فإذا جاء أجله فلا يستأخر ساعة ولا

يستقدم.. قد لاحت في السماء بشارات الفرج، وحانت ساعة الولادة بعد طول مخاض، ولوّحت رايات النصر في الفضاء الرحب.. إن هو إلا صبر ساعة، فاحبس النفس عن الهلع، وطبّ نفساً، فإن الذي وعد بالفرج والنصر والتمكين.. لا يخلف - سبحانه - الميعاد.

● لا شيء.. غير أن صدى الأمنيات يوجع الذاكرة الحاملة.. يستفزها كي تسترجع جواز سفرها، وتهبّ حقائبها كي تسافر؛ حيث المزيّنات تداعب رذاذاً يتحين فرصة الرّسوّ على وجنات جورية نعسى.

● الشمس المتلحفة بمرط السماء تهمس في أذن الربيع أن يتبختر.. استرق السمع منها زهرُ البرتقال الرابض خلف شبّكي، فتضوع.. وشدى النغير بصوته الرقيق المفعم بالبشرى قرب عَشٍّ بيضه يحبي الأغصان التي هيأت له الاستيطان.. وما الربيع إن لم يكن زهراً وطيراً وبشارة، وبعض أمنيات؟!

● نسائم الفرج، وتباشير الفرح، فارفع هامتك أيها الفؤاد المنكّس الحسير.. واسأل تعطّ فلك رب حيي كريم يستحيي أن يرد صفراً يد من به تعلق.

● ذاك النور يستشرفني.. فأتوق لأن أكون ذرة.

• دوي الحرف، والمواقع العتيقة، وحلقة هذا الليل، وبحة القمر، والنجم المستكين.. وبصيص الفجر القادم من وراء المدى.. لن يطيل بحول ربه المسير.

• **قالت:** كيف حالك اليوم؟ **قلت:** أتذكرين حالي أمس، وأول أمس، وما قبله، وما قبله؟ هو ذاك حالي.. مع نقص يوم من رصيد حياتي، وزيادة يقيني في فرج قريب. **قالت:** إذًا، أكف عن سؤالك كل يوم!، وأجعل كلامك ذاك قاعدة؟! **فقلت:** لا عليك، أسأليني ودعيني أذكرك، وقبلك أذكر نفسي بضيق نفوسنا، وسعة كرم الله، وضعفنا وقوة الله، وفقرنا وغنى الله. أسأليني كل يوم، وترقيي معي يوم الفرج، عسى سؤالك يصادف يومًا مراسيم الفرحه، وطقوس البهجة، فتحفطين معي يومها بتحقيق الرجاء والحلم المخملي الجميل.

• يكفيك أن تبرم عقد صلح مع نفسك؛ كي يصبح الكون حولك أجمل صديق.

• ابتسم.. وافرد كفيك للخير القادم.. من حديق حسن ظنك بربك ينبت الفجر ومن ثغرك البسام يشطأ نور الشمس.. ابتسم، فلك رب جواد كريم وهَّاب رزاق معط.. يغدق على الكافر الجاحد، فكيف بمن وحده ورجاه.

● لا شيء.. غير أن الفسيلة التي سقيناها عبرات ودعوات،
مازالت الروح المتعلقة بمُخرج الخبء - سبحانه - متشوفة
لطلعها..

لا شيء.. غير أن الانتظار حياة.. وأولئك الذين كَفُّوا عن
الانتظار سرقت منهم دروبُ الحياة معاني الحياة.

● قد شارف السعي على الاكتمال يا حفيدة هاجر.. والمُعصر
من مولاك سيتفجر بفضله - سبحانه - ثجاجًا.

● استعصت عن السكر بالأحلام.. وارتشفتُ قهوتي خفية عنهم.

● بيني وبينني طيف.. كلما عميت ألقى على عيني قميص
البشارة، وأخرجني بيسمة من جب الأحزان.. وأرفع
الحرف على عروش التمرد، ألبسه تيجان الأمنيات.

● سنبتسم، لهدير الرعد، ولعويل الرياح، ولثورة البراكين
الخاملة.. سنبتسم، لزجرة العواصف، ولقصف البروق،
ولأنة الألم.. سنبتسم، قربنا الله.. رب الضعفاء والحزاني
والمكرويين فارح المهم، رافع الضيم، الولي النصير.

● ومازال الذنب يطوقني والضعف يستليني، وكاد الشيطان
يئسني من رحمة الرحيم.. وتلك الوحشة أوشكت أن تنجح
في غلق بويِّبٍ كان مفتوحًا بيني وبين ربي.. فما زلت في
ترنحي حتى جاءني البشارة:

- (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) (هود)
- إذا أسأت فأحسن.
- وأتبع السيئة الحسنة تمحها.
- عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، علمني عملاً يقربني من الجنة ويباعدني من النار. قال: إذا عملت سيئة، فاعمل حسنة، فإنها عشر أمثالها. قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: هي أحسن الحسنات. فما زالت البشارات تتوالى علي حتى سحّ الدمع المتحجر في شرياني، وهمت العيون فرحاً برحمة وكرم وجود وحلم وستر الإله سبحانه، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير.
- فيا أيها العيد، خلّق بنا من ضيق نفوسنا المجبولة على الكبد والضيق إلى رحابة أرواحنا التواقفة للفرح والمرح، ولمعانقة سماوات السعادة.. حرّنا من همٍّ قد جثم على صدورنا، وتضاعف بتضاعد الأنفاس، وادخل بنا إلى حيث الأحلام المخملية والعوالم الوردية الطفولية، واسكب بين ضلوعنا بسمات ونفحات، وأعطيات وتواشيح أمل.
- بشرني، كلما رأيت اليأس يطاردني، والضعف يتنازعني، ونفسي المهيضة تغور في رمال الاستلاب.

• اخذله وتفاءل، وانفث عنك وسوسة من أخذ عهداً على إحزاننا.
(ليحزن الذين آمنوا)

• ولأنها تتعب من الحقيقة، ومن زيف الواقع، ومن كدر
الأيام.. تحتاج جرعة أحلام.. أرواحنا.

• لن تغرب شمس في وجه روح مبتسمة، ولن تبحر فتائل
النور من عائق الأمل، ورأى في كل بارقة صيباً نافعاً.

• حقّ.. نحاول أن نجنب أنفسنا القادم الذي نخشاه.. بخشيته
قبل أن يقدم.

• هو الكرم والल्प والرزق والفرج.. تأتيه حبواً فيأتيك
هرولة، وتسأل الفتات فتأتيك الخزائن.. فيا للذة فرج لا
منّة لأحد عليك فيه.. ويا للفرحة برزق استبطاً واستعجلته،
فكان لوفوده بعد طول انتظار؛ عناق المحيين ووصال
المشتاقين.

• وسنظل نتقلب في الأحلام.. إذا ضاع حلم في المستحيل
فرتب حولك باقي الأحلام، لعل أحدها يصادف الحقيقة.

• ما نحن إلا أحلامنا؛ فلنحسن الأحلام.

• أيتها الأيام الراكضة المتصرمة، كل ليل قديم قد طويته، وكل
فجر جديد قد نشرته.. إنها هو خطوك الحثيث بنا لإدراك

لحظات الفرج، وركضك لنفخ الفرخ في أرواحنا المتشوفة
لمعانقة الأحلام.

• وسنحلم.. وسنوجع المساء أحلامًا.. وسنثقل الصباح آمالًا..
وسننقش كل أمنياتنا في قلوبنا التواقفة لابتسامة الفجر الندي..
نوشيهها بدعوات صادقة دامعة مجهشة بين يدي مجيب الدعوات
وجاعل الأحلام والأمانى دوحة الأرواح المتعلقة بأهداب
رجائه، وحسن الظن فيه.

• من ذاق طعم الحرية، يستحيل أن يحنَّ للأقفاص.
• إلى من ضاقت به فملأ الدنيا صراخًا وعويلًا، ويئس
ويأس من حوله.. إلى من لبس نظارتي شؤم، ولم يرَ في
الأحداث حوله سوى نفقًا مظلمًا وسردابًا لا آخر له.. إلى
من استعجل النصر والفرج، فلما طال به الأمد لوّن الحياة
بالسواد، ونفت سم يأسه وإحباطه في إخوانه، وتقمص
دور الشيطان ليحزن الذين آمنوا.. تذكر: (إذا قال الرجل:
هلك الناس، فهو أهلكهم)، وأن الذي وعد بالفرج حيٌّ
قيوم، وبأنه قد وعد ولن يخلف الوعد، وبأن سنة الله في
التمحيص ماضية، وبأن الغاية أن تلقاه على الطريق ناصراً
للحق.. لا أن تكون لك الغلبة والعلو في الأرض.. تصبر؛
فإن الفارج الله.

• تعلّم أن تحب الليل، وأن تحب الغيم، وأن تحب ساعات الظلام الصادق.. فالغيم جدّ أكبر لشمس الربيع، وعتمة الليل سلف خيوط الفجر النقي.. تعلّم في الغيم صدق حزنه واعتصاره قبل أن ينجب قطرات الحياة، وفي الليل صدق انتحابه قبل أن يفرج عن شمس النهار.. تعلّم من كل حزين صادق في حزنه أن من لم يتألم بصدق لن يفهم معاني الفرح.. وأن من لم يعرف الشدة لن يراقص فتائل الفرج.

• ستورق.. حتمًا ستورق وتزهر.. ما دام يسقيها نقاء قلب لا يعلم من كنه الحياة سوى الصفاء والبراءة والإيواء إلى الركن الشديد.

• وكلما اشتدت، قرب النصر والفرج، وزادت قلوب الصادقين تعلقًا بالذي وعدهم ولن يخلف الميعاد، وأطرقت جوارحهم خاشعة مطمئنة تنتظر ولاية ربها، وتترقب من أي الأبواب سيدخل الفرج، يحثُّ الخطى، ويقترح عليهم شبابيك الانتظار.

• أيها الخائف الجازع الغارق في يأسك، انفضّ عنك وعد الشيطان الكذوب، وثقّ بما عند ربك الكريم الحكيم العليم، والزم الضراعة له والافتقار لولايته.. واحذر أن يكون كلامك مما يؤثر فيمن حولك فتبث فيهم الجزع والهلع.

• كن إيجابياً، وانظر إلى الأمور حولك بعيني الواثق في حكمة الله، الراضي بقضائه، العالم بتواتر الشدة والفرج، الموقن بأن فعل الله كله خير.. وإن لم نتبين الحكمة الآن.

• كالفلق المنير كانت جذوة صبرك، ألا ليتها لا تطفئها خيوط العتمة المتسللة من بين جدران قلبك المتصدع ألماً وحزناً..
فيا أيتها الحروف الحبيبة، يا حروف التنفيس والاستقبال، انثري حولي زهور اليقين، وطوقيني بقلائد الثقة، ودعيني أسكب كل أمني وكل رجائي وكل أمانٍ في ترنيمتك المصمتة المهموسة الرقيقة: (سيشفيني.. سيهديني.. سيرزقني.. سيكفيني.. سينصرني.. سيأويني).

• قالت: كيف أصبحت اليوم؟ قلت: أصبحت بحال من استبشر فكانت له البشرى، ومن تشوف للفرج وانتظر النور من منافذ الضيق؛ فجاءه كرم الواسع - سبحانه - من حيث لم يدر..
ولسان حاله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾..

• وتهرب الحروف.. تتسلل بين أسمال العتمة ترقب خيوط الفجر القريب.

• ستمطر فرحاً.. صيباً نافعاً لأرواحنا.. وستدبّ فينا الحياة من جديد.. كجُوري ذابل عاد إلى الحياة بعد طول احتضار..

وستسجد قلوبنا شكرًا لمن جعل في دهره نفحاتٍ تحيي القلوب
الموات، وتغرس في الأرض المستقحلة توبة وأوبة وانبعاثًا.

• أراد قلم - يوماً - أن يكتب عن الألم، فرَصَّ حروف الأوجاع
وتهمياً لمعانقة قواميس الجراح.. خانه الوجد.. انتحب..
تمخض.. فأنجب عبارات رضا، وتسليم، ورجاء في القادم
الجميل.. تراقصت الحروف، ودوّنت بمداد استبشار: "لم تنته
بعد الحياة."

• ويا أيها الفرح الموقوف بساحة الانتظار، تصبر؛ فإن الفارج
الله.. وانتظر بشارَةً كما بشارَة يعقوب بيوسف بعد طول نأي،
وزكرياء بيحيى، وسارة بإسحاق بعد كبر وعقم، ويونس
بعد ظلمات بطن الخوت في ظلمات البحر.

• **قالت:** كيف حالك؟ **قلت:** حال من يحاول زرع ورد بين
حصائد الشوك، وقراءة الفرح وراء سطور الألم، وتلمس
الأمل في شطآن اليأس.. حال من يريد فتح جناحيه للحياة
يعبر بها سحائب المستحيل.

• بعض طموحاتنا وأحلامنا أقرب إلى الوهم منها إلى الحقيقة،
وإلى المثالية منها إلى الواقعية.. لا تحجر على أحلامك
وطموحاتك.. ولكن لا ترفع سقف توقعاتك، ولا تنظر إلى
السما حذّ نسيانك موقع رجلك.

- قد أطلَّت هامةُ الفجر تبشر بالفرج القريب.
- لو سكن الضيق تجاويف الكهوف، وتسرب الهم بين شقوق الجحور، وعشش بين نتوءاتها؛ لتبعه الذكر ينسف سكناه، ويبدد أسواره وينقض في أعماقك شُعَّةُ المتشعب. ذكر وشكر وابتهال.. خير ما نستقبل به هذا الوليد.
- عقب الفجر المنبثق من البكور قد فاح، زنبقتي لا تحتاج إلا لبسمة من خيط النور؛ كي تغرق الكون في الدهشة.. وفي العبق.
- نسائم الفرج وتباشير الفرح.. إن لم تطلَّ عليك طواعية؛ فتعرض لها. أجمل خيوط الفجر، تلك التي مزقت لأجلها سدول الليل، وفتحت لها الشبايبك، ووثبت تلاحقها.. لا تلك التي انتظرتها أن تحترق النوافذ كي تداعب منك الجفون.
- أيها المبتلّون، اثبتوا؛ فإن الذي نصر بني إسرائيل المتلكئين الجاحدين الجازعين، ونجاهم من سطوة الباطل وتسلط المتجبرين؛ لقادر على أن ينصر أوليائه الطائعين المصدقين الصابرين، وأن يظهر الحق، ويعلي كلمة دينه.. وَلَيَقِينَ - سبحانه - بوعده إنه لا يخلف الميعاد.. لا مكان لليأس ولا للجزع في عقيدتنا، إن هي سوى سنة الله في تمحيص عباده،

وإنها للجنة تختار عُمَارها.. والبلاء إن اشتد فلعظم الأجر، وإلا كيف لنا أن نكون إخوان النبي - ﷺ، وما بلغت عبادتنا معشار عبادة أصحابه، وما جاهدنا معه وما شهدنا معه الضراء.. ليس لنا في ديننا تركيات ولا توصيات ولا مجاملات، بل الله يزكي من يشاء، ويختار من عباده الصبورَ الشكور، الثابت على الحق، القابض على الجمر.

- ويأتي الفرج من حيث دريت ومن حيث لم تدر.. ومن بين حصائد الشوك وصفائح الثلج، يُنبِت مروج ورد، وينشر شآبيب رحمته.. (يدبر الأمر)
- استبشر، فالضيق إن كان يدخل من النافذة، فإن الفرج يدخل من أبواب متفرقة.
- رحلة العتمة قصيرة، وأحلك ما في الليل سويته قُبيل انسكاب زخات النور.
- وما يضيرنا أن ننتظر إشراقة الشمس ولو بعد الزوال؟! فلعل غيمًا قد حجبها.. وما زالت به حتى قُبِل أن ينزاح.. خيوطها المتسللة بين أسفال الغيوم تشي بها على كل حال، وتفرّق نسيج الغيم في الفضاء الرحب يعلن أنه إلى زوال.. في انتظارك أيتها الشمس ولو أبطأت.. فلطَلَّتْكَ احتفاء وأي احتفاء!..

● **قالت:** رأيت الأيام تركزض كأنها خائفة مستنفرة.. تجردنا من أحلامنا، وتخلع عن قلوبنا معاني البهجة. **فقلت:** بل هي تجري بنا؛ لندرك بقية رزق وبقية أجل ينتظرنا، لم نستكمل بعد نصيبنا فيه.. لن يمضي أحد برزق خديجٍ ولا بأجل منقوص.

● ما أشبه الليلة بالبارحة) فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال كلا إن معي ربي سيهدين) (الشعراء) قد لاح طيف المتجبرين بالقرب، يتوعد القلة المستضعفة بسحق عظيم، وبانتصار ستغنى به الأجيال من بعد، وسيردع كل من سَوَّكَتْ له نفسه اتِّباع دين الله والمروق من طاعة الحاكم المتجبر.. فتتان التقتا: فئة لها عتاد وقوة ودعم فرعوني لا يضاهي، وفئة مؤمنة مستضعفة، كان ديدنها التشاؤم بموسى، وتذكيره بالأذى الذي لحقهم مذ جاءهم، ولم يصل بها اليقين إلى أن تعلم أن ذلك المتَّبِع، إنما هو مؤتمِرٌ بوحى خالق الكون بما فيه فرعون الطاغية، ومدبر شؤون خلقه، وبأن نصره لا يتخلف عن المؤمنين به، لكنه قلة الإيَّان والجزع عند الخطوب، فهم لا يرون أبعد من الأسباب حولهم، وكلها نذارات سوء، وإرهاصاتٌ لنفاذ الحيلة وغلبة فرعون لهم، فجموع زبانيته قد أصبحت قريبة منهم تراءى لهم، وما هي إلا مسافة لحظات

حتى يكونوا في قبضتهم، يُمَزَّعون تحت صليل سيوفهم. ومما يزيد الأمور تعقيداً، ذاك البحر الواقف بكل عنفوانه وجبروته في طريقهم، فكيف النجاة؟ وإلى أين المفر؟ إنهم - ولابد - مُدْرَكُونَ بما لا يدع لأحد ذرة شك في النجاة. فتعالى صيحاتهم في يأس قاتل: (إنا لمدركون)، فيُصرفون عن اليقين فيما عند الله وفي شهود قلوبهم عجائب صنيع الله.. إلى التأكيد على قلة حيلتهم وعلى نهايتهم المحتومة، فلا يألون في ذلك جهداً للتعبير عن إحباطهم باستعمال حرف التوكيد "إن" و "اللام المرحلة" لمزيد تأكيد على جزعهم، وعلى فراغهم من النجاة، فضلاً عن النصر. حتى إذا بلغ اليأس بهم مبلغه، وبلغت القلوب الحناجر، وسلموا لأمر هلاكهم؛ أتت بشارات النجاة بحروف المؤمنين الصادقين الأصفياء، الواثقين في خزائن جود الله، وفي لطفه - سبحانه - وتقديره النجاة لأوليائه، وظهورهم على أعدائه، المستشعرين لمعية الناصر - سبحانه - ؛ تأتي صادقة واثقة مجلجلة: (كلا، إن معي ربي سيهدين) يزر بها موسى - عليه السلام - الجازعين من متبعيه، الظانين في الله ظن السوء، المذعورين من لحوق فرعون وجنوده بهم. ليفرَّغ كل يقينه ويُنفِّس كل ثقته في "سين" الاستقبال: سيهديني ربي - من غير شك ولا ارتياب - إلى ما سيكون سبباً في السلامة

والنجاة، وفيما سيبقى عبدة؛ لما بعد من الأجيال.. خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مستأثراً بهذه الهداية، فهو القائد، والأمر الذي به ستم النجاة هو من المعجزات الخاصة بالأنبياء، ثم إن إيمانهم لم يَهْدِهِم إلى الثبات واليقين فيما ضمنه الله لهم من معية، وما كفله لهم من كلاً، وما منَّ عليهم به من عناية ولطف، وما وعدهم به من نصر. وكلُّ يُوْتَى حسب قوة إيمانه وصلابة دينه، وتعلق قلبه بالله، وبها عند الله.

• فيا أيها الفرح، ادخل علينا من أبواب متفرقة، وَضَعْ صُوعَ الأمل في رحالنا لعلنا نصبح أسراه، وَأَوْفِ لنا الكيل، وزد، وتصدّق علينا، وارزُ أرواحنا العطشى للبسمة وللرجاء، وارمِ علينا قميص البشارة نرتدد بعد طول همٍّ سعداء، وأخرجنا من سجون أنفسنا الضيقة الكثيرة الغرقى في لجج الضعف والحزن والهوان، وآونا إليك، وارفعنا على عروش المحبة والأمان والحنان، والثقة فيما عند الكريم المنان.

الفهرس

5	إهداء
7	اقتحام
9	أبواب الكتاب
10	تراويل الفجر
18	شرع نوافذك.. خلف الزجاج صبح ..
33	مشاريعك.. وصناعة القرار ..
60	كسروا أوثانهم
65	لذة العطاء
76	مجرد إنسان
97	وجعٌ.. بنكهة الخذلان
136	كقطع من الليل ..
151	فلسفة الذنب
159	سحائب الرجاء.. وشآبيب الرحمة.. ..
183	لجلجة الصمت
187	ترانيم قلم
198	قالت؛ فقلت.. ..
206	بشريات.. وشذى الأعطيات ..